شعرُ عبادة بن ماءِ السَّماءِ (ت بعد ٥٤٢١)

جمعٌ، ودراسة –

أ. م. د. عدنان محمد آل طعمة[١]
أ. م. د. محمد حسين عبد الله المهداوي[٢]

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وحبيب رب العالمين؛ أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، إلى قيام يوم الدين..

أما بعد؛

فهذا البحث الموسوم ب (شعر عبادة بن ماء السماء – جمع، ودراسة) واحد من البحوث التي أنجزناها في أواخر سنة ٢٠١١م، وهو من مجموعة بحوث نقدّمها للترقية العلمية إلى مرتبة الأستاذيّة، وقد بذلنا فيه جهداً كبيراً، ونحن نفتّش عن شعر عبادة في المظان المختلفة، وعملنا على ترجيح الروايات المختلفة، وتوثيق نسبتها إلى الشاعر، فقدمناها مرتبة على حروف الهجاء العربية، مجموعة في مقصد مستقل، فكان نتاج ذلك الجمع سبعاً وخمسين نصّاً شعريّاً، منها خمسون نصاً في أوزان الشعر العربي المعروف، وسبعة موشحات تمثّل خلاصة ما وصل إلينا من موشحات الشاعر، التي أبدع في نظمها وابتداعها، فأدخل التضمين، والتضفير فيها، ولعلّ أهميّة عبادة تأتي من كونه المخترع الحقيقي لفن الموشحات مثلما أشار إلى ذلك ابن بسّام الشنتريني، على نحو ما سيأتينا في البحث؛ إذ وجدت موشحاته صدى كبيراً في المشرق والمغرب.

وحاولنا في المقصد الآخر أن ندرس شعر الشاعر بحسب موضوعاته، وما اشتمل عليه من ظواهر فنيّة ميّزت الشاعر، وارتقت به إلى مصاف الشعراء المتقدمين في عصره.

اعتمدنا في بحثنا على المصادر المحققة تحقيقاً علميّاً وافياً، فضلاً عن بعض المصادر المخطوطة، واستعناّ بما كتب عن الشاعر في المصادر الإسبانية والإنجليزية.

نحسب أنّ عملنا هذا إضافة ثرّة إلى المكتبة الأندلسيّة الزاخرة بالأعلام والشخصيّات المؤثرة في الساحة الأندلسيّة، وعساه أن يسدّ فراغاً في المكتبة الشعريّة الغنيّة، ولا ندّعي أنّ ما نصبو إليه من كمال قد تحقق،

---

١ - جامعة أهل البيت عليهم السلام، كلية الآداب
٢ - جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

http://abu.edu.iq

فذلك مما لا يوصف به إلاّ المولى جلّ شأنه، وحسبنا أنّنا اجتهدنا في عملنا، ولا يكلذف الله نفساً إلا وسعها، عليه توكلنا، وعليه فليتوكل المتوكلون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....

مدخل:

تعريف بالشاعر، وعصره

سقطت الدولة الأموية في أعقاب الفوضى التي عمّت الخلافة بالأندلس؛ بفعل الصراع الدامي داخل الأسرة الحاكمة، وتسلّط رجال القصر من الصقالبة، والعبيد على العاصمة قرطبة، وكان من نتائج ذلك الصراع أن اعتلى العرش أبو الحسن علي بن حمّود الحسني؛ الذي أطلق على نفسه (أمير المؤمنين)، وتلقّب ب (الناصر لدين الله)[٣]، وهو بهذا يعد المؤسس لأول دولة علويّة من بني هاشم في الأندلس؛ إذ ينتمي إلى إدريس الأول، الذي أسّس أول دولة علويّة في فاس بشمال إفريقيا سنة ١٧٢ه.

وبطبيعة الحال، فقد وفد على ابن حمّود كثير من الشعراء مهنئين إياه بالخلافة، فأكرم وفادتهم، واستمع منهم إلى باقة من قصائد الحب، والولاء، والإيمان الخالص بأهل البيت (عليهم السلام)، وكان عبادة بن ماء السماء واحداً من الشعراء الذين وفدوا عليه، ونظموا فيه شعراً يفصح عن عقيدة راسخة، وإيمانٍ كبير، وولاءٍ دائمٍ لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلام)، وللخليفة العلوي (ابن حمّود) مادحاً، ومفتخراً، معبراً له عن صدقه، وحبه؛ له، ولأجداده من البيت النبوي الطاهر.

ينتمي (عبادة) إلى أسرة عربية عريقة، من الأنصار، سكنت الأندلس في وقت مبكر، وكان جدّه مناهضاً لوجود الأمويين فيها[٤]، ولمعرفة هوية هذا الشاعر، وانتمائه، يتوجب علينا متابعة أخباره في مصادر الدراسة الأندلسيّة والمشرقيّة، ولاسيّما أخباره مع بني حمّود.

فهو عبادة، بن عبد الله، بن محمد، بن عبادة، بن أفلح، بن الحسين، بن يحيى، بن سعيد، بن قيس، بن سعد، بن عبادة، الخزرجي، الأنصاري، كذا ورد اسمه عند أبي الوليد الفرضي في كتابه (طبقات الشعراء في الأندلس)، ولم يصل إلينا هذا الكتاب، بل وصل إلينا كتاب آخر للمؤلف هو (تأريخ علماء الأندلس)، وعن الأول نقل الحميدي في الجذوة[٥]، وابن بشكوال في الصلة[٦]، والضبي في البغية[٧] وكذا ابن حجر في نزهة الألباب في الألقاب[٨].

يكنّى الشاعر بأبي بكر، ويلقّب بابن ماء السماء نسبة إلى جدِّه الأعلى، ولعلَّ أول من سكن الأندلس من سلفه هو الحسين بن يحيى بن سعيد؛ إذ سكن قرية (قربلان)[٩] من أعمال سرقسطة. وكان للحسين هذا موقف بوجه عبد الرحمن بن معاوية الداخل، حتى استقرّت الأسرة في ظروف غير معروفة باتجاه الجنوب في طليطلة وقرطبة.

---

(١) ينظر: البيان المغرب، لابن عذاري، تح. ليفي بروفنسال: ٣ / ١٢٠.
(٢) ينظر: أخبار مجموعة، لمؤلف مجهول، تح. لافونت: ١١٢ – ١١٥.
(٣) ينظر: جذوة المقتبس: ٢٧٤ – ٢٧٥.
(٤) ينظر: الصلة: ٣٨٣ – ٣٨٥.
(٥) ينظر: بغية الملتمس، تح. فرانتسكو كوديرا وخوليان ريبيرا: ٢ / ١٤٥.
(٦) ينظر: نزهة الألباب في الألقاب، مخطوط، الورقة ٢٩ أ.
(٧) ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم: ٣٦٥، واسمها: Corbalan بالقرب من سرقسطة وصحرائها، مثلما ذهب إلى ذلك سادابا في: مجلة الأندلس: ٢٥ / ٣٣٩، وينظر:
- Granja , Fernando de la , Ubada.B. Ma'al Sama – El Brill , 1971.
- Wilhem , Hoenerboch , Al andalusi Ubada.B. Ma'al Sama supoesia. R. andalusi Islamica iv-v , Granda 1980.

http://abu.edu.iq

وفي ظل الأحداث الدامية، والأيام العصيبة التي شهدتها الأندلس في أواخر عصر الخلافة، وسيطرة رجال القصر على الخلفاء من بني أمية؛ فتح الشاعر عينيه على الحياة، وعلى الرغم من هذه الظروف نشأ الشاعر نشأة علمية، ودرس اللغة والنحو على يد عالم قرطبة الشهير أبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، وروى عنه كثيراً من مؤلفات المشارقة، التي نقلها أبو علي القالي في علوم العربية وآدابها، حتى صار « من فحول الشعراء، وأكابر الفضلاء، وأئمة العلماء، وسادة الأدباء، وشعره كثير في الملح والفوائد، حسن الغزل والقصائد، يتوقّد خاطره كالشهاب الثاقب، ويجلو صيقل فكره صدا كل عام ذاهب »[١٠].

وذكر ابن بسّام أنّ عبادة هذا عاش في كنف الدولة العامرية[١١]، وكانت لعبادة علاقات وطيدة مع كثير من علماء وأدباء عصره مثل: الوزير أبي عامر بن مسلمة، والوزير أبي عامر بن شهيد، وأحمد بن سعيد بن حزم، وأبي بكر بن زيدون؛ والد الشاعر المشهور، وغيرهم، مثلما كانت له علاقات طيبة مع المنصور بن أبي عامر، وقد مدحه في أكثر من مناسبة فيما يتعلّق بالجهاد، ومرابطته بالثغور، وغزواته الصيفية، أو ما يعرف بالصوائف ضد الفرنجة، ولكن ما يهمنا هنا علاقته مع البيت الهاشمي، وهو ما سنفصح عنه من خلال قصائده التي قالها فيهم.

ويبدو أنَّ الشاعر تنقّل في مدن الأندلس الجنوبيّة، وقد اتخذ من مالقة سكناً له، وتوفي فيها في شوّال سنة ٤١٩هـ كما في رواية ابن حيّان[١٢]، إلاّ أنّ ابن حزم قال: إنّه كان حيّاً سنة ٤٢١هـ، وابن حزم أعلم بالتواريخ، ويبدو أن وفاته كانت بشكل مفاجئ، وهو ما دفع بعض المؤرخين المعاصرين له إلى أن يختلقوا خبراً في تعليل وفاته، وهو تعليل يصعب تصديقه[١٣].

ألف عبادة كتاباً مهماً في طبقات الشعراء بالأندلس، نقل عنه ابن حيّان في مواضع كثيرة من كتابه (المقتبس)، وليس هنا مجال الحديث عن الكتب التي رواها عبادة بن ماء السماء، ولا عن كتابه طبقات الشعراء، فسيأتي الحديث عنها في غير هذا الموضع، وقد خصصنا لهذا الباب دراسة مفصلة نتناولها فيما بعد إن شاء الله، ولكن يجدر بنا أن نشير إلى أن ابن بسّام ذكر عبادة بأنّه المخترع الحقيقي لفن الموشحات؛ فالموشح لم يسمع إلاّ منه[١٤]؛ إذ انه أدخل التضفير في مرحلته الأخيرة، وقد بقيت موشحتان من أصل سبع موشحات قالها في عليّ بن حمود الحسني، وقد ورد اسمه فيها، وليس كما زعم المستشرق الإنكليزي دافيد صمويل شتيرن[١٥] الذي ذهب إلى أن هذه الموشحة لمحمد بن عبادة القزاز؛ لأنّ القزّاز لم يدرك دولة الحموديين، بل عاش في ظل الدولة الصمادحية، واختص بالمعتصم بن صمادح صاحب المرية، ولم يكن اسمه محمداً، بل علي بن حمّود، وسنأتي بها لاحقاً.

المقصد الأول: النصوص الشعريّة:

قافية الهمزة

(١)

ولبعض الأندلسيين مغزى دقيق في وصف (الخيري) ومعنى رقيق، وقيل إنّه لعبادة بن ماء السماء:

---

(٨) أخبار الملوك: ١٤٠.

(٩) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح. د. إحسان عباس: ١ / ٤٧٨.

(١٠) ينظر: المقتبس في تاريخ الأندلس، ابن حيان، تح. د. محمود علي مكي: ٢ / ٩٤ – ٩٧، ١٣٤، ٢٧٩، ٢٩٠.

(١١) قيل أنّه مات بسبب فقده مائة دينار، حزن عليها، فمات بسببها. ينظر: جذوة المقتبس: الحميدي، تح. محمد بن تاويت الطنجي: ٢٧٥.

(١٢) ينظر: الذخيرة: ٢ / ٤٦٩.

(١٣) في بحثه القيم عن محمد بن عبادة القزّاز، وقد ترجمه الدكتور عدنان آل طعمة (الباحث الأول) عن الإسبانيّة، وطبع بمجلّة جامعة أهل البيت، العدد ٩، ص ١٣٤ – ١٦٣.

http://abu.edu.iq

(الخفيف)

١ وكـأنّ الخـيريّ في كتمـه الطـي ... بَ فقيـه مغـرىً بطـول ريـاءِ[١٦]
٢ يُظْهِـرُ الزهـدَ بالنّهـار ويمسـي ... فاتِكـاً ليلَـه مـع الظَرفـاءِ[١٧]

قافية الباء

(٢)

وقال عبادة: (السريع)

١ بكفّـه نشـابةً أذكـرت ... في قبضـها مـن قلـبيَ الناشـب[١٨]
٢ كـأنَّ يمنـاه علـى نـاظرٍ ... منـه ويسـراه علـى حاجـبِ
٣ كأنّمـا تعقـدُ في وتـرهِ ... تسـعاً وسـتين يـدا حاسـب

(٣)

كان من فحول الشعراء، وأكابر الفضلاء، وأئمة العلماء، وسادة الأدباء، وشعره كثير في الملح والفوائد، حسن الغزل والقصائد، يتوقّد خاطره كالشهاب الثاقب، ويجلو صيقل فكره صدا كل عام ذاهب، فمن ملح شعره الفاطمي قوله: (السريع)

١ يـا سـيّد الأمـلاك مـن هاشـمٍ ... ومنتهـى الطالـبِ والراغـبِ
٢ مـن ذا يجاريـكَ إلى غايـةٍ ... مـن طـامعٍ في المجـدِ أو راغـبِ
٣ وأنـت بـدرٌ في سمـاء العلـى ... يمحـو ضـياءَ الكوكَـبِ الثاقـبِ
٤ أنـت علـيّ بـن نـبيّ الهـدى ... وابـن علـيّ بـنِ أبـي طالـبِ
٥ في زمـن المحـل كصـوب الحيـا ... وفي الـوغى كالأسَـد الغالـبِ

(٤)

وقال أيضاً: (الطويل)

١ سـقى اللهَ أيّـامي بقرطبـة المنـى ... سـروراً كـريّ المنتشـي مـن شـرابه
٢ وكم مزِجت لي الراحِ بالرِيق من يدي ... أغـرّ[١٩] يـريني الحسـن مـلء ثيابـه
٣ أوان عـذاري لم يـرع بمشـيبه ... شـبابي ولم يـوحش مطـار غرابـه
٤ تعلّلـني فيهـا الأمـاني بوعـدها ... وهيهـات أن أروي بـورد سـرابه
٥ سل الغنم البادي من السجن دانفاً ... لتعذيب قلبي هل دمي من خضابه

---

(١) التخريج: البديع في وصف الربيع، الحميري، نشر: هنري بيرس: ١١١.
(١٦) الخيري: منثور الأصفر.
(١٧) فتك: بالغ في الأمر وأفرط فيه، يريد الشاعر أنَّ الخيريّ يضوع عطره في الليل، وينتشر بازدياد على عكس النهار.
(٢) التخريج: التشبيهات، أبي عبد الله الكتاني، تح. د. إحسان عباس: ٢٠٥.
(١٨) نشابة، ونشاب: السهام، ج نشاشيب، والناشب: المتعلق في شيء، اسم فاعل نشب.
(٣) التخريج: أخبار الملوك، الملك المنصور محمد الأيوبي، تح. د.ناظم رشيد: ١٤٠ – ١٤١.
(٤) التخريج: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١ / ٤٧٣.
(١٩) الأغر: الأبيض، والحسن من كل شيء.

http://abu.edu.iq

(٥)

وقال عبادة: (المجتث)

١ كتمت سرّك حتّى كأنّه من عيوبي
٢ فما دراه عليم[٢٠] حاشا عليم[٢١] الغيوبِ

(٦)

وقال عبادة: (الطويل)

١ حيران من فقد العفاة كأنّه من آل عذرة[٢٢] قد أغبّ حبيبا
٢ يعطي ويدنيه الحياء كأنّه قد يستقلّ نواله الموهوبا

قافية الجيم

(٧)

وقال عبادة: (الخفيف)

١ كلّما مسّتِ في الرداء توارت بقناع غزالةَ الأبراجِ
٢ أو تمشّت بحاسرِ الرأس أو في ملكٍ للملاحِ من غير تاجِ
٣ وكأنّ التفاف شعركِ جعداً فوق وجه يضيء ضوء السراجِ
٤ طبق مكفأ من التبر محضاً تحته للعيون لعبة عاجِ

قافية الدال

(٨)

وقال أبو بكر عبادة بن ماء السماء يصف الربيع بأوصاف بديعة وتشبيهات رفيعة وبدأ يذكر سحابة: (الرمل)

١ ولعوبٍ عَشِقَتْ روضَ الثّرى فهي ثانيه على طول البعدْ
٢ فيُرى الروضُ إذا ما وصلت أرجُ العرفِ من الطيب الجسدْ
٣ عطِراً ملتبساً مُلتحفا في سرابيل من الحسنِ جددْ
٤ كمحبٍّ زار محبوباً له فتحلّى للقاه واستعدْ
٥ وإذا ما ودّعت أبصرتها في نحول العاشقِ الصبِّ الكمدْ
٦ تلحظ النَّوْرَ بلحظٍ فاترٍ مثل جفنٍ حائرٍ فيه رمدْ
٧ وجفون النَّورِ تهمي بالبكا كجفونِ الصبِّ من فقدِ الجلدْ
٨ فهما في حيرةٍ عند النّوى كمحبّينِ أحسّا بالبعدْ

---

(٥) التخريج: التشبيهات: ٢٧٥.
(٢٠) العليم: المتصف بالعلم.
(٢١) علام الغيوب، والعليم من الأسماء الحسنى.
(٢٢) آل عذرة: قبيلة موصوفة بالحب العفيف، منهم: جميل بثينة، وعروة بن حزام وحبيبته عفراء.
(٧) التخريج: التشبيهات: ١٣٥.
(٨) التخريج: البديع في وصف الربيع: ١٦ – ١٧.

http://abu.edu.iq

(٩)

وقال أيضاً: (السريع)

١ فهل ترى أحسن من أكؤس ... يقبّلُ الثّغْر عليها اليدا
٢ يقولُ للساقي أغثني بها[٢٣] ... وخذْ لجيْناً وأعدْ عسجدا
٣ أغرق فيها البِهمُ لكن طفا ... حبابُها من فوقِهِ مُزبَدا
٤ كأنّما شيّبها شاربٌ[٢٤] ... أمسكها في كفّه سرمدا

(١٠)

وقال عبادة في سكّين: (الكامل)

١ أهديْتَ نحو معذّبي عضَبَ[٢٥] الضّبا[٢٦] ... من طرفه الفتّاك أحسبَ حدّهُ
٢ وفرنْده[٢٧] المعشي لعيْني مذكرٍ ... من خطّ عارضِهِ المليح فرنْدُهُ
٣ وكذاك يحكي باصفرار نقوشهِ ... من عاشقٍ مثلي نحيلٌ خدُّهُ
٤ ولذاك أهديه إليه تفاؤلاً ... للقائنا فكأنّما أنا عندهُ
٥ أفردتُهُ من غمدِهِ إذ لم أرى ... إلاّ فؤادي خوْفَ صدّكَ غمدهُ

(١١)

وقال عبادة في قمري: (السريع)

١ مطوّق جوّد[٢٨] في شدوهِ ... كأنّما طَوَقَ إذ جوّدا
٢ مالَ على الخوط[٢٩] فشبّهته ... بشاربٍ لمّا انتشى عربَدا
٣ كأنّما الطَلُّ[٣٠] عر طوقه ... دمعٌ على عِقْدِ فتاةٍ بدا

(١٢)

وقال عبادة: (الطويل)

١ كأنّ أديم[٣١] الماء درّ مذابَهَ[٣٢] ... يصافحَ من خضرِ الرياضِ زمرّدا[٣٣]

---

(٩) التخريج: الذخيرة: ١ / ٤٧٣، رايات المبرزين، أبو الحسن علي بن سعيد، تح. د. النعمان عبد المتعال القاضي: ٤٨، مسالك الأبصار للعمري، مخطوط: ٣٩٨/١١ و١٦ / ١١٠، فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢ / ١٥٠.

(٢٣) في الرايات: أقول للساقي ابتكر بكرها... وفي مسالك الأبصار: يقول لي اعتق لي بها.

(٢٤) في الرايات: كأنما شبّها... وفي المسالك: كأنما نسبتها، وهذا البيت نراه اخترع معناه، وهو من معانيه المخترعة وألفاظه المبتدعة.

(٢٥) العضب: الحاد.

(٢٦) الضبا: جزاء السكين لأنها تشد النصاب، ويقال لسكينة: ضبة. أساس البلاغة، الزمخشري، تح. عبد الرحيم محمود: ٢٦٥.

(٢٧) فرند: السيف الحاد. كذلك: ضرب من الثياب. معرّب.

(١١) التخريج: التشبيهات: ٥٧.

(٢٨) جود: حسن في الشيء، وجوّد في القراءة: أي أحسن في التجويد.

(٢٩) الخوط: الغصن.

(٣٠) الطل: الندى، هو المطر الخفيف أو دونه، وجاء في قوله تعالى: ((فإن لم يصبها وابل فطل)). البقرة: ٢٦٥.

(١٢) التخريج: التشبيهات: ٦٦.

(٣١) الأديم: البياض من الشيء.

http://abu.edu.iq

(١٣)

وقال عبادة: (الكامل)

١ هـذي وفـود الـروم نحـوكَ بـادَرَتْ أمّ القطـا للمنهـلِ المـوردِ
٢ وصلوا على مثلِ الصراطِ إليكَ منْ هـولٍ وأنفسـهم بـلا مجلـودِ
٣ في جحفَـلٍ كـالرَّوْضِ في ألوانِـهِ يهْفـو بـأعلاه سـحاب بنـودِ
٤ وكأنّمـا الحيّـاتُ فـاغرةٌ بـهِ تـومي إلى الأعـداءِ بالتهديـدِ
٥ وكأنّمـا العقبـانُ في نفـحِ الصبـا تهـوى إلى صـيد الكمـاةِ الصِّيدِ
٦ والأرْضُ تحسـبُها سـلوكاً سـطّرتْ فيهـا لآلـئ عـدَّةٍ وعديـدِ

(١٤)

وقال عبادة في دخول جسد ابن فرزلند في تابوت: (الكامل)

١ فرّقـت بـين دماغِـهِ وفـؤادِهِ وَجَمَعْـتَ بـين غرابـه والسَّـيدِ

قافية الراء

(١٥)

وقال عبادة: (المنسرح)

١ أقلامـه تنـثني السـيوف لهـا إذا عليهـا دمَ الـدّوى[٣٥] جـرى
٢ كأنّمـا عـاد ريقُهـا ديمـاً[٣٤] فأنبتـت في كتابـه زهـرا
٣ فأوْرَقَـتْ حـينَ صـافَحتْ يَـدُهُ فانبـاعَ[٣٦] منهـا كلامُـهُ ثَمَـرا

(١٦)

وقال عبادة بن ماء السماء الأنصاري: (الطويل)

١ كـأنّ السّـماءَ قبّـةٌ مـنْ زَمـرّدٍ وفيها الدراري من عقيقٍ مَسامِرَ

(١٧)

وله من أخرى يرثي علي بن حمود، ويهنئ أخاه بالخلافة: (الكامل)

---

(٣٢) المذاب: السائل.
(٣٣) الزمرّد: الحجر الأخضر. معرّب. والمعنى: كأنّ صفاء الماء في بياضه جارياً على جانبي الرياض درّا يصافح زمرّدا.
(١٣) التخريج: التشبيهات: ٢١٠، المقتبس في تاريخ الأندلس: ٤٩.
(١٥) التخريج: التشبيهات: ٢٣٧.
(٣٤) الديم: جمع ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.
(٣٥) الدوى: جمع دواة، وهي المحبرة.
(٣٦) انباع: انطلق.
(١٦) التخريج: التشبيهات: ١٩، وفيه: قال أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب: باب من التشبيهات في السماء والنجوم والقمر. قال عبادة... الخ.

http://abu.edu.iq

١ صلّى عليِ المَلِكِ الشهيدِ مليكَهَ وسقاهُ في ظلِ الجنانِ الكوثرِ
٢ مولى دهتْهُ عبيدُه وغضنفرٌ تركَتْهُ أيدي العفرِ وهوَ معفرِ
٣ كانت تهيبُهُ الأسودُ فغالهُ في قصرِهِ مستضعفٌ مستحقرِ
٤ لمْ يثْنِ عزُّ المُلْكِ عنهُ منونَهُ فسَمَتْ لَهُ من حيثُ لم يكُ يحْذَرِ
٥ قتلَتْهُ سراً والقبائلُ درَّعٌ تحميهِ لكنِ المنايا جسرِ
٦ ولو أنَّها رامتهُ جهراً لانثنت والبيضُ تُقْرعُ والقنا يتكسَّرِ

ثمَّ خرج إلى المدح فقال:

٧ ما غابَ بدرَ التمَ إلاّ ريثما جلّى الدجى عنّا الصباحَ الأزهرِ
٨ إن يهوِ من أفقِ الخلافةِ نيِّرٌ يهدي السبيلَ فقد تلاهُ نيرِ
٩ بالقاسمِ المأمونِ أفرحَ روْعنا فالقسمُ وافٍ والنصيبُ موفَّرُ

(١٨)

وقال عبادة: (الطويل)

١ بسَطْتَ لنا خرقاء كالأفقِ وَصَلَتْ بخمْسٍ.....
٢ يقبِّلُ ركْنَ البيْتِ منهَا مسلّم ويصدرُ عنها صائمٌ وهو مفطِرُ
٣ ألظَّت به الأفواهُ حتّى كأنَّها خواتِمُ فيها أو عليها تُقَدَّرُ

قافية السين

(١٩)

قال ابن بسام: نقلت من خط الوزير أبي عامر بن مسلمة قال: أنشدني أبو بكر عبادة لنفسه: (الكامل)

١ أجِلِ المدامَةَ فهْيَ خيْرَ عروسِ تجْلو كروبَ النَّفْسِ بالتنفيسِ
٢ واستغنِمِ اللذّاتِ في عهدِ الصبا وأوانِهِ لا عطْرَ بعدَ عروسِ

قافية الصاد

(٢٠)

وهو القائل في ميمون بن الغانية، وكان وسيماً: (الكامل)

١ قَمَرَ المدينةِ كيفَ منْكَ خلاصُ أوْ أينَ عنْكَ إلى سواكَ مناصُ
٢ ما أنتَ إلاّ درَّةُ الحسْنِ التي قلبي عليها في الهوى غوّاصُ
٣ والشادنُ الأحوى الذي في طرفِهِ سحرٌ يصادُ بسهمِهِ القنّاصُ
٤ أمِن جفونَكَ من مغبَّةِ ما جنَت فينا فليس على المِلاحِ قصاصُ

http://abu.edu.iq

قافية الضاد

(٢١)

وقال أبو بكر عبادة الشاعر في أبي بكر بن زيدون والد الوزير أبي الوليد بن زيدون:

(الخفيف)

١ أيّ ركنٍ من الرياسةِ هَيَضا ... وجسومٍ من المكارمِ غيضا
٢ حملوه من بلدة نحو أخرى ... كي يوافوا به ثراهُ الأريضا
٣ مثل حمل السحابِ ماءً طيّباً ... لتداوي به مكاناً مريضا

قافية العين

(٢٢)

وقال عبادة من قصيدة يمدح بها ابن حمود: (الطويل)

١ أبَسِلّ عليك الماء حتى يشوبه ... دمٌ والكرى حتّى تقضّ المضاجعِ
٢ أجمّ جياداً أدْمَنَ الغزو نهكها ... فمنها حسيرٌ في الجهاد وضالعِ
٣ وأغمد سيوفاً تشتكيك جفونها ... كما تشتكي نجلَ العيونِ البراقعِ
٤ وسكّن عجاجَ الركضِ شيئاً فقلّما ... يُرى الجوّ مما هته وهو ناصعِ
٥ وآنس قصوراً طالَ ايحاثها به ... فقد أشفقت ممّا صنعت المصانعِ
٦ وهل ضرّك الباغي بسهمٍ مكيدةٍ ... وأنت بواقي عصمةِ اللهِ دارعِ
٧ وأيّ يدٍ تنوي قراعك بعدما ... رأينا يدَ الجبار عنكَ تقارعِ

قافية الغين

(٢٣)

وقال عبادة يتغزّل: (الطويل)

١ إذا رمتَ قطفَ الوردِ ساورَني الصدغَ ... بعقربِ سحرٍ في فؤادي له لدْغَ
٢ غزالٌ بجسمي فترةٌ من جفونهِ ... وفي أدمعي من لون وجنتِهِ صبغِ
٣ زيارته أخفى خفاءً من السها ... ودون فراغي من محبته الفرغ

قافية الفاء

(٢٤)

وقال عبادة: (المنسرح)

١ لم أرَ عَجّمَ[٣٧] البكاءِ يأخذَهُ ... إذْ قامَ عندَ العِناقِ كالألف
٢ كأنّه في وجزِ خطرته ... خيالُه إذ سَرى فلَمْ يقفِ
٣ كأنّما الحبُّ كانَ أسلفني ... نفسي ثمَّ استردّني سلفي

---

(٢١) التخريج: نفح الطيب، المقري التلمساني، تح. د. إحسان عباس: ٤ / ٢٣، وكان المذكور توفي في ضيعة له، ونقل تابوته إلى قرطبة فدفن بالربض سنة ٤٠٥ه، وكان مولده سنة ٣٠٤ه.

(٣٧) عجم: يقال: رأيت فلاناً فجعلت عيني تعجمه كأنّها تعرفه، كما يقال: ما عجمتك عيني منذ كذا: أي ما أخذتك.

http://abu.edu.iq

(٢٥)

ومنها لعبادة بن ماء السماء من قصيدة طويلة: (المنسرح)

١ أحلِـــفُ بـــاللهِ حِلْـــفَ مجتَهِـــد والحلْـــفُ بـــاللهِ غايـــة الحِلْـــفِ
٢ لـــو كـــانَ إجماعنـــا بفضـــلِكَ فِي ال سملـــــة لم تمـــــتحن بمختلـــــفِ

قافية القاف

(٢٦)

وقال عبادة في قصير: (المنسرح)

١ وصـــاحِبٍ لـــي كـــأنّ قامتَـــهَ أقْصَـــرَ مِـــنْ يـــومِ معشـــوقي

(٢٧)

وقال عبادة في الحاجب ابن أبي عامر: (الطويل)

١ لنا حاجبٌ[٣٨] حازَ المعالي بأسرها فأصبَحَ في أخلاقِهِ واحدَ الخَلْقِ
٢ فـلا يغـترِرْ منـهُ الجَهـولُ ببشـرِهِ فمعظَمُ هولِ الرَّعْدِ في أثَرِ البرْقِ

قافية الكاف

(٢٨)

وقال عبادة: (الرمل)

١ إنّمـــا الفـــتحُ هـــلالٌ طـــالِعٌ لاحَ في أزرارِهِ في فَلَـــــــــكِ
٢ خـــدُّ شمْـــسٍ، وليـــلٌ شَـــعرُه مـن رأى الشَّمس بدت في حلَكِ

(٢٩)

وقال عبادة في تشبيه سكين في غمد أسود: (المنسرح)

١ مـــا مـــرّ يـــومٌ علـــيّ لمْ أركِ إلاّ وجـــدْتَ الضـــميرَ صـــوّرَكِ
٢ ولا مبـيتي وأنـتِ لسـتِ معـي إلاّ مبيـــتُ القطـــاةِ في الشَّـــرَكِ
٣ أمّـــا أنـــا فالبعـــاد غيّرَنـــي وأنْـــتِ خَـــوْفُ الرَّقيـــبِ غيّـــرَكِ
٤ يـا لعبَـةً صـوّرتْ لسـفْكِ دمـي غطـي بفضـل النقـابِ محجـرَكِ

(٣٠)

وقال في تشبيه سكين في غمد أسود: (مجزوء الكامل)

(٣٨) في المسالك: لنا صاحبٌ. والمنصور: هو محمد أبو عامر (ت٣٩٣هـ)، أصله من قبيلة معافر، عمل كاتباً لدى الحكم الثاني في الأندلس، ونال رضا زوجته (صبح)، ثم أصبح حاجباً لدى هشام المؤيد، ثم أضحى هو الآمر الناهي في الأندلس، وغزا خمسين غزوة، وقتل غيلة في غزوته الأخيرة.

http://abu.edu.iq

١ لا تشـــــكونّ إذا عثَـــــرّ ... تَ إلى خلـيط سـوء حالـكّ[٤٠]
٢ فيريـــك ألوانـــاً[٣٩] مـــن ال ... إذلال لم تخطـــــرْ ببالـــــكْ
٣ إيّـــاكَ أن تـــدري بمـــي ... نـكَ مـا يـدور علـى شمالـكْ
٤ واصـبرْ علـى نُـوبِ الزمـا ... ن وإنْ رَمَـتْ بـكَ في المهالـكْ
٥ وإلى الـــذي أغنـــى وأق ... نَى اضـرَعْ وسـلْهُ صـلاحَ حالـكْ

(٣١)

وقال عبادة في تشبيه سكين في غمد أسود: (الكامل)

١ أنـا صـارمٌ في جـوفِ غمْـدٍ ... بـذلَ الأكـفَّ المالكـات مـالكي
٢ فكـأنّني طـرف الحبيـبِ محيّـراً ... قـد نـامَ في جَـوْفِ الظـلامِ الحالـكِ

(٣٢)

وقال يستهدي سكيناً: (الخفيف)

١ ليسَ يبريهِ غير عضبٍ[٤١] طرير[٤٢] ... فعلَـهَ فيـهِ قطعـةً مـنْ فعالـكْ
٢ حمـلَ الصـبحِ في غـرارٍ مـنير ... ودجـى الليـلِ في نصـابٍ حالِـكْ
٣ ونبـتْ لـي أقـلامٌ صـدقٍ كـأنّي ... كنـتُ كلفتهـا انتسـاخَ مقالـكْ
٤ فتفضّـلْ مـن المـدى لـيسَ بشـيء ... فأنـــا منـــتمٍ إلى أفضـــالكْ

قافية اللام

(٣٣)

قال ابن بسّام: وكان عبادة يظهر التشيّع في شعره، من ذلك قوله في يحيى بن حمود: (الطويل)

١ فهـا أنـذا يـا ابـنَ النبـوّةِ نافـثَ[٤٣] ... من القولِ أرياً[٤٥] غير ما ينفثُ الصلّ
٢ وعندي صريحٌ[٤٤] في ولائِكَ معرقٌ ... تشـيّعُهُ مَحـضٌ[٤٦] وبيعتـه بتْـلُ[٤٧]
٣ ووالَـى أبـي قـيسٌ أبـاكَ علـى العـلا ... فخيّم في قلـبِ أبـي هنْـدٍ لـه غِـلُّ[٤٨]

(٣٩) في الفوات: أنواعاً.
(٤٠) في الفوات: ما بك.
(٤١) العضب: القاطع.
(٤٢) الطرير: الحاد.
(٤٣) نافث: نافخ، وقائل. نفثت الحيّة السمَّ أي نكزت، وقيل: ما أحسن نفثات فلان، أي ما أحسن شعره.
(٤٤) الصريح: الصافي، والواضح من كل شيء، يقال: رجل صريح النسب، أي خالصه.
(٤٥) الأري: العسل.
(٤٦) المحض: الخالص.
(٤٧) البتل: المنقطع الذي لا يشبهه شيء، وعطاء بتل: لا يشبهه عطاء.
(٤٨) الغل: الحقد.

http://abu.edu.iq

(٣٤)

قال الضبي: أنشد أبو بكر عبد الله بن حجاج الإشبيلي لعبادة بن ماء السماء في الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بديهة يستأذنه عليه، ويسأله الوصول إليه: (السريع)

١ يـــا قمـــراً ليلـــةَ إكمالـــهِ ومقـــدمي في بحـــرِ أفضـــالِهِ
٢ عبـــدُ أياديـــكَ وإحســـانُها يســـألكَ المـــنَّ بإيصـــالِهِ
٣ فـــإنْ تفضّـــلْتَ فكـــمْ نعمـــةٍ جُـــدْتَ بِهـــا مصـــلِحِ أحوالـــهِ
٤ وإنْ يكُـــنْ عـــذْرٌ فيكفيـــهِ أنْ عـــرفَ مـــولاهُ بإقْبالـــهِ

(٣٥)

وقال عبادة: (الكامل)

١ كـمْ يبعـثُ البـاغونَ رَسْـلَهُمَ إلى مـنْ كتبِـهِ مـن زرقِـهِ ونصـولِهِ
٢ وزَعَ الإلـــهُ ببأسِـــهِ وعقابِـــهِ مـا لم يـزُعْ بـالنصِ مـن تنزيلِـهِ
٣ هـذا علـيٌّ ناصِـرُ الـدينِ الـذي نظمـت لـهُ غـررُ السـنا بحجولِـهِ

(٣٦)

وقال عبادة من أخرى: (الكامل)

١ صـلِّى عليْـكَ اللهَ يـا ابـنَ رسـولِهِ ووليِـهِ المخـتصِّ بعـدَ خليلِـهِ

ومنها:

٢ ولـهَ مـن السّـعْدِ المتـاحِ معـوّلٌ يغـني أخـا التنجـيمِ عـنْ تعديلِـهِ

(٣٧)

وقال يتغزّل من قصيدة: (الكامل)

١ متجبِّـرٌ لا يطّيبُـه بالرضـى أحـدٌ ولا يجـري الوفـاءَ ببالِـهِ
٢ دارت دوائـرِ صـدْغِهِ فكأنّمـا حامـت علـى تقبيـلِ نقطـةِ خالِـهِ
٣ رشـأ تـوحّشَ مـن ملاقـاةِ الـورى حتّـى تـوحّشَ مـن لقـاءِ خيالِـهِ
٤ فلـذاك صـارَ خيالُـهُ لـي زائـراً إذ كنـتُ في الهجـرانِ مـنْ أشكالِهِ
٥ ولقـد هممـتُ بـهِ ورمـتُ حرامَـهُ فحمـانِيَ الإجـلالُ دونَ حلالِـهِ
٦ وحبَبْتُـهُ حـبَّ الأكـارِمِ رغبـةً في خُلْقِـهِ لا رغبـةً في مالِـهِ

(٣٨)

وقال أيضاً في كتاب: (الخفيف)

١ ذو معـــانٍ معشَّـــقاتٍ حـــوَى في خَلْقِـــهِ لا رغبَـــةً في مالِـــهِ
٢ كهـــوَى غـــارَ يَجِـــبُّ عليْـــهِ فطـــواهُ وقـــدْ طـــواهُ النحـــولُ
٣ فكـــأنَّ الكتـــابَ مسْـــكٌ فَتيـــتٌ نمَّ فيـــهِ علـــى الحبيـــبِ دليـــلُ

http://abu.edu.iq

(٣٩)

وقال عبادة: (مجزوء الخفيف)

١ ربّ ليلٍ سهرتَ في قمرٍ ... مدّ من فرعِهِ عليهِ حلى[٤٩]
٢ والثريّا كأنّها سئلَتْ ... فأجابَتْ عنِ الحبيبِ بِلا

(٤٠)

وقال عبادة: (الكامل)

١ ورأيتَ خصرَكِ يشتكي ما أشتكي ... فضمَمتَهُ ضمّ النحيلِ نحيلا[٥٠]
٢ فكأنّما قلبَ الفراقُ تلاقيا ... بالجزعِ أو حسبَ البكا تنويلا[٥١]

(٤١)

وقال أيضاً: (المنسرح)

١ وليلةٍ للسرورِ كانَ لها ... بحسنِ ساقٍ كحسنِ خلخالِ
٢ قصيرةٍ أقصرَ الغرامُ بها ... كأنّها مستهلُّ شوّالِ
٣ ناولَني الكأسَ بدرُها بيدٍ ... عنّابُها من طريفِ انفالِ
٤ يعلّلني ريقةَ الحياةِ فمٌ ... قضى بتعطيلِ كلِّ علّالِ

(٤٢)

وقال عبادة: (الكامل)

١ وذوابلٍ صمَ الكعوبِ تعدّلَتْ ... منها المتونُ وحكمُها لم يعدلِ
٢ قد قومتْ فكأنّما امتثلَتْ بِذا ... كَ الفعلِ في تقويمِ كلِّ مميّلِ

قافية الميم

(٤٣)

وقال عبادة بن ماء السماء أيضاً قطعة بديهة: (البسيط)

١ أما ترى باكرَ النّورِ الذي نجما ... كأنّهُ آئبٌ من غيبةٍ قدما
٢ والقطرُ ساقٍ لهُ والبرقُ يعجبُهُ ... سقياهُ فعلّةَ داعي الشربِ بالندما
٣ كأنّهُ سلكُ درٍّ حلَّ أو كلفٌ ... بكى فلمّا دنا محبوبُه ابتسما
٤ كأنَّ مبدئَهُ في الأفقِ منتشراً ... أعادَهُ في أنيقِ الروضِ منتظما
٥ فلا ترد على الشاقي حكومتَه ... فإنَّ دينَ الهوى راضٍ بما حكما

(٤٤)

وقال أيضاً: (المنسرح)

---

(٤٩) الحلى: الزينة.
(٥٠) في رواية: النخيل نخيلا، أي في تشابكه.
(٥١) في الأصل: تنزيلا كما ذكر المحقق.

http://abu.edu.iq

١ اشـربْ فعَهْـدَ الشـبابِ مَغْتَـنَمَ وفرصَـــةً في فواتِهـــا نَـــدمِ
٢ وعاطيتهـــا بكـــفٍ ذي غيـــدٍ ألحاظُـــهُ في النفـــوس تحـــتكمِ
٣ كأنَّهـــا صـــارمُ الأمـــيرِ وقـــدْ خضّـــبَ حدّيـــه مـــن عِـــداهُ دمِ
٤ واحـد[٥٢] بتـذكارِهِ الكـؤوسَ فمـا يلـــذّ نقـــلاً ســـوى ثنـــاه فـــمِ

(٤٥)

وله من قصيدة طويلة في يحيى بن علي بن حمود الفاطمي أولها: (الطويل)

١ يـؤرّقني الليـلَ الـذي أنـتَ نائِمَـهْ فتجهـل مـا ألقـى وطرفَـكَ عالِمَـهْ
٢ وفي الهودجِ المرقومِ وجهٌ طوى الحشى على الحزن واشي الحسنِ فيه وراقِمُهْ
٣ إذا شـاءَ وقفـاً أرسـلَ الحسـنُ فرعَـهْ يظلّهـم عـن منـهجِ القصـدِ فاحمـهْ
٤ أظلمـاً رأوا تقليـدَهُ الـدرَّ أم يـروا بتلـــكَ اللآلـــي أنّهـــنَّ تمائمـــهْ
٥ وهـلْ شَـعَرَ الـدّوْحُ الـذي في قبـابِهِم تماثيلـــهُ أن القلـــوبَ كمائمـــهْ

(٤٦)

وقال عبادة: (الطويل)

١ ولَمّـا رأيـتَ الـدهرَ ينفـذُ حكمـهَ بعـد دانٍ معشـوقٍ قـذحتَ بحتمـهِ
٢ كـأنّي صـبٌّ وهـو ألفـي فكلّمـا تـيمّمَ بـي ظلمـاً صـبرتُ لظلمـهِ

قافية النون

(٤٧)

وقال عبادة: (مجزوء الكامل)

١ مـــذ كنـــتَ لا تنفـــكّ تخـــبرَ عـــن حـــديثٍ لم يكـــنْ
٢ فكأنّمـــا غـــذّيتَ طفـــلاً بالكـــذاب مـــع اللـــبنْ

(٤٨)

وقال عبادة: (الخفيف)

١ صـــرتَ مســـتثقلي كأنّـــك أرضٌ وكـــأنّي عليـــكَ ثقـــل الأمانـــهْ

(٤٩)

ولأبي بكر عبادة بن ماء السماء إلى صديق يستهديه سوسناً، أبياتٌ وصفه فيها وصفاً مستحسناً: (مخلع البسيط)

(٥٢) في المسالك: واسق بتذكاره.
(٤٨) التخريج: التشبيهات: ٢٥٩.

http://abu.edu.iq

١ دَمّـــتَ بإنعـــام وإحســـان إنْ أنْـــتَ أنْعَمْـــتَ بسوســـان
٢ لَـــوْ كـــانَ نفســـاً حيوانيَّـــةً مـــا كـــانَ إلاّ نفـــسُ إنســـانَ
٣ كأنَّـــهُ أنْمُـــلُ حســـناءَ لمْ تخضِـــبُ يـــديْهَا خـــوفَ غَيْـــرانَ

قافية الياء

(٥٠)

وقال في قصيدة أخرى في علي بن حمود الحسني: (الوافر)

١ أطاعتـكَ القلـوبَ ومـنِ عصِـي وضـرّبَ الله ضـربَكَ يـا علـيّ
٢ فكـلٌ مـن ادّعـى معْـكَ المعـالي كـذوبٌ مثـل مـا كـذب الـدعيّ
٣ أبـى لـكَ أن تهـاض عـلاكَ عهـدٌ هشـــاميٌّ وجـــدٌّ هـــاشميّ
٤ ومـا سميـت باسـمِ أبيـكَ إلاّ ليحيـا بالسـميِّ لـه السـميّ
٥ فـإن قـالَ الفخـورُ أبـي فـلانٌ فحسْـبُكَ أن تقـولَ أبـي الـنبيّ

الموشحات

(٥١)

ومن موشحات عبادة:

مـــن ولـــي – في أمـــة أمـــراً ولم يعـــدلِ يَعْـــزَلِ – إلاّ لحـــاظ الرشـــأ – الأكحـــلِ

- ١ -

جُرْتَ في – حكمِكَ في قتلي يا منصفُ
فانصفِ – فواجبٌ أن ينصِفَ المنصِفَ
وارأفِ – فإنّ هذا الشوقَ لا يرأفِ
علّل قلبي بذاك الباردِ السلسلِ ينجلي – ما بفؤادي من جوى مشعلِ

- ٢ -

أنّما - تبرزُ[٥٣] كي توقدَ نار الفتنْ
صفا – مصوراً في[٥٤] كل شيء حسنْ
إن رمى – لم يخطِ من دون القلوب الجَنَنْ
كيف لي – تخلّصٌ من سهمك المرسلِ فصلِ – واستبقني حياً ولا تقتلِ

- ٣ -

يا سنا – الشمس ويا أبهى[٥٥] من الكوكبِ

(٥٣) في الوافي: يبرد، والتوشيع: يبرز.
(٥٤) في التوشيع: من
(٥٥) في الوافي: أسنى.

http://abu.edu.iq

يا منى – النفس ويا سؤلي ويا مطلبي
ها أنا – حلّ بأعدائك ما حلّ بي
عذّلي – من ألم الهجران في معزل والخلي – في الحب لا يسأل عمّن بلي
أنتَ قد – صيّرتَ بالحسن من الرشد غي
لم أجد – في طرقي[٥٦] حبك ذنباً[٥٧] علي
فاتئد – وإن تشأ قتليَ شيئاً فشي
أجمل – ووالني منك يدَ[٥٨] المفضل فهل لي – من حسنات الزمن المقبل

- ٥ -

ما اغتدى – طرفيَ إلاّ بسنا ناظريك
وكذا – في الحبِ ما بي ليس يخفى عليكّ
ولذا – أنشدَ والقلب رهينٌ لديك
يا علي – سلّطت جفنيك على مقلتي فابق لي – قلبي وجد بالفضل يا موئلي

(٥٢)

وله أيضاً:

حبّ المها عبادة من كل بسّام السراري
قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنه الأبدعّ

- ١ -

لله ذات حسنٍ مليحة المحيّا
لها قوامَ غصن وشنفها الثريا
والثغر حب مزن رضابه الحميّا
من رشفه سعادة كأنّه صرف العقار
جوهرٌ رصّعّ يسقيك من حلو الزلال طيبَ المشرعّ

- ٢ -

رشيقة المعاطف كالغصنِ في القوام
شهديّة المراشفّ كالدرِ في النظام
دعصيّة المرادفّ والخصرَ ذو انهضام
جوّالة القلادة محلولة عقد الإزار
حسنها أبدعّ من حسن ذيّاك الغزال أكحلِ المدمعّ

- ٣ -

ليليّة الذوائبْ ووجهها نهارُ
مصقولة الترائبْ ورشفها عقارُ

(٥٦) في التوشيع: طرفي.
(٥٧) في التوشيع: ديناً.
(٥٨) في الوافي: ندى

http://abu.edu.iq

أصداغها عقاربَ والخدّ جلّنارَ
ناديتَ وا فؤادة من غادة ذات اقتدار
لحظها أقطعَ من حدّ مصقولة النصال من الفتى الأشجعَ

- ٤ -

سفرجل النهودِ في مرمر الصدورِ
يزهى على العقودِ من لذّة النحورِ
ومقلة وجيدِ من غادة سفورِ
حبّي لها عبادة أعوذ من ذاك الفَخارِ
برشأ يرتعَ في روض أزهار الجمال كلّما أينعَ

- ٥ -

عفيفة الذيول نقيّة الثيابِ
سلاّبة العقَولِ أرق من شرابِ
أضحى بها نحوليَ في الحبّ من عذابي
في النوم لي شرادة أو حكمها حكم اقتدارِ
كلّما أمنعَ منها فإن طيف الخيال زارني أهجعَ

(٥٣)

وقال أيضاً في موشحة:

- ١ -

يا لائماً جفا ❖ ملامي ❖ زاد في نقمي
برحت بالخفا ❖ سقامي❖ قد برا جسمي
والسهد قد نفا❖ منامي ❖ ومحا رسمي

فها أنا لقا ❖ إنني ❖ قد كفاني اللومْ
والسهد أرقا ❖ جفوني ❖ وحماها النومْ

- ٢ -

لو تألف الظبا ❖ وكنتا ❖ تعرف الحبّا
لدنت بالصبا ❖ وظلتا ❖ تعذر الصبا
ما كل من صبا ❖ مذ بنتا ❖ يحتوي لبّا

من أين لي تقى ❖ وديني ❖ قد سباه اليومْ
غصن على نقا❖مصون❖ مفطرٌ في الصومْ

- ٣ -

أنّى بقاء من ❖ نأى عنْ ❖ عينه حبّهْ
فبات ذا شجن❖ يعنونْ ❖ سره كربهْ

http://abu.edu.iq

حتى يودّ من ❖ أسى أن ❖ ينقضي نحبه

يقول لا بقى ❖ منون ❖ قد دنا يا قومْ
هل تنفع الرقى❖ ودوني ❖ للمنايا حومْ

- ٤ -

فكلت للهوى❖ ضميراً ❖ لم يكن بدرا
صليت بالجوى ❖ سعيراً ❖ ردّني جمرا
بلوت للنوى ❖ أموراً ❖ انبطت بحرا

في الدمع أغرقا❖سفيني ❖ فاستطبت العومْ
من حيث تبقى❖ منون ❖ أن يسوم السوم

- ٥ -

يا فرحتي وقد ❖ بدا لي ❖ وجه محبوبِ
وأظهر الجلد ❖ وحالي ❖ حال يعقوبِ
فقلت والسهد ❖ يوالي ❖ كلّ مرغوبِ

طيراً محلقاً ❖ حنيني ❖ أين غبت اليومْ
باتت مورقاً ❖ جفوني ❖ لم تذق النوم

(٥٤)

وقال عبادة في موشحة :

- ١ -

دمُ الصبِّ ❖ وإن عزّ مطلولُ
فذرْ عتبِ ❖ فلومكَ تضليلُ
فذو الحبِّ ❖ عن العذل مشغولُ

بأشواقٍ ❖ فكلني لوسواسِ
أذب عشقاً ❖ فما فيه من باسِ

- ٢ -

سبا لبّي ❖ بتقتير عينيه
رشا يصبي ❖ براعة خديّهِ
ففي قلبي ❖ لأسهم لحظيهِ

جوى باقٍ ❖ فما هو بالآسِ
لما ألقى ❖ ولا أنا بالناسِ

- ٣ -

http://abu.edu.iq

أيا لهفاَ ❖ وإن باح ما أضمرْ
وهل تجفا ❖ طوية مستهتر
وقد أوفى ❖ كبدر الدجى المقمرْ

من أطواقِ ❖ على غصن الآسِ
لكي تشقَى ❖ به أنفس الناسِ

- ٤ -

أرح فرضاً ❖ هول من يرى السقما
لنا فرضاً ❖ ويستحسن الظلما
ولو بعضاً ❖ تشتكيه مما

أنا لاق ❖ إلى الحجر القاسِ
أذا رقّا ❖ لزفرة أنفاسِ

- ٥ -

لقد تمّنا ❖ وهيّج أشواقي
متى غنّى ❖ ليبقى مع الساقي
إذا ضنّا ❖ فيظفر بالباقي

أيا ساق ❖ أفر عنّي أكواسي
عسى نبقَى ❖ ويسكر جلاسي

(٥٥)

وقال في موشحة :

ما حالَ من لَه نَفَسٌ هافتٌ ... وأدمعٌ سجامْ
وزفرةٌ يجيشُ لها الصدرُ ... من لوعة الغرامْ

- ١ -

هو الهوى وأيسره شجوٌ ... يلوم فيه من يعيا به الطبيبْ
قلبه خلوٌ ... من لوعة الوجيبْ رحماك في كئيبْ
يا شادناً تملّكه الزهو ... لا يطعمُ المنامْ
إنسانُ عينيه أبداً باهتْ ... لا يسمع الملامْ
وسمعه ليس به وقرٌ

- ٢ -

بمهجتي وما مهجة الهائمْ ... أفدي رشا مروعْ

http://abu.edu.iq

خلا كناس تربده جاحمِ ... وحلَ في الضلوعِ
ما قلب من تملكه سالمِ ... من حسنه البديع

لو أنّ حسنه لاحَ للقانتْ ... لعادَ مستهامْ
وكان في صبابته عذرَ ... لمدنفٍ يلامْ

-٣-

سهم الفراق علّق بالدهرِ ... أصابَ مقتلي
ومذ نأيت لا يخلو عن فكري ... مرآك يا علي
لو شامت تفكّر في أمري ... إلاّ ورقَ لي

ما بعد من يرق له الشامتْ ... شيء سوى الحمامْ
إن رمت وصفه فني الحبرَ ... والطرس والقلامْ

-٤-

ملكت يا أبا حسن رقى ... بالتيه والدلالْ
ولا أخاف شيئاً سوى العشق ... فكيفَ لي زوالْ
حزت الجمالَ طراً فلم تبقِ ... شيئاً سوى الخبالْ

وجه يحارُ في نعته الناعتْ ... كالبدرِ في التمامْ
ومبسمٍ يعوم فيه الدر ... كالمسكِ في المدامْ

-٥-

أحييت والهاً من الوجدِ ... حنَّ لآلهِ
والوجد لا يعبر بالوجدِ ... عن كنه حالهِ
أشدوك هائماً راح من وجدي ... يوم ارتحالهِ

إن زرت في طبير بن ثابتْ ... فاقرأهم السلامْ
وقل لهم عبّاد الذي ندر ... باقي على الذمامْ

(٥٦)

وقال عبادة في موشحة:

هل لما بي طبيبْ ... من أليم النهشِ
إذا أبيت سليمْ ... بالعيون الرقشِ

-١-

آهِ من علّتي ... قد دنا توديعْ
ذهبت صحتي ... بالكرا الممنوعْ
يا ذوي خلّتي ... كيف بالملسوعْ

(٥٦) التخريج: عدة الجليس: ٣٤٠.

http://abu.edu.iq

من جفون ربيبْ ... شارد الوحش
رد جسمي سقيم ... لا يرى في الفرش

- ٢ -

علّلوا رمقي ... بشذا أنفاسهِ
سكّنوا قلقي ... بحلا وسواسهِ
بردوا حرقي ... بحميّا كاسهِ

لو بذاك الشنيبْ ... من لثاث خمش
على قتلي يريم ... لاحياً في نعش

- ٣ -

مرّ بي نازحاً ... ودنا لو يدني
بالنوى بارحاً ... كالقضيب اللدن
ينثني راجحاً ... في الربى من عدَنِ

يا له من قضيبْ ... يغتذي بالرشَ
تحت برد النعيم ... برذاذ العرشِ

- ٤ -

نشره سَحَرا ... روضة الخيري
شربه مَطَرا ... عبق الألري
ماشياً قمرا ... في صفا دري

ليته لا يغيبْ ... فسناه يعشي
نيرات النجوم ... ونباتِ نعش

- ٥ -

زرته هائماً ... في تناهي سكري
واقعاً قائماً ... ليس شيئاً أدري
فشدا ناظماً ... ما رأى من أمري

يا جمال الحبيبْ ... إذا أتانا يمشي
ويقع ويقوم ... ويقول اش ذا اشْ

(٥٧)

- ١ -

كيف أن يسلا ... من براه الهجرَ
في هوى من لا ... يتعاطى البدرَ
حسنه كلا ... ليس عنه صبرَ
سرَيَ المكتومْ ... في هواه فاشِ

http://abu.edu.iq

-٢-

أنا أفديه ... من غزال ناعمِ
في جنيِ فيه ... برءِ سقمِ الهائمِ
لم أطعِ فيه ... كلَّ واشٍ لائمِ
إنَّ عينَ اللومِ ... ان يطاعَ الواشي

-٣-

لست أسلاه ... وبقلبي بلوى
منه لولاهَ ... كنت منه خلوا
حسبيَ اللهَ ... وإليه الشكوى
كل ذا محتومِ ... فدعوا إيحاشي

-٤-

انْ يكن أظهرِ ... غدره أو حالا
لم أدع مفخرِ ... في القلى أوحالا
إنَّ لي معشرِ ... سادة ما زالا
بالعلى معلومِ ... ير كهلهم والناسِ

-٥-

مال إذ مرَّا ... ماشياً كالغصنِ
يفضح البدرا ... من تناهي الحسنِ
وشدا عذرا ... من حياءٍ منيِ
ونقع ونقومِ ... ونقل اش ذا شَ

المقصد الثاني: الدراسة

النصوص التي بين أيدينا من شعر عبادة بن ماء السماء؛ جزءٌ من المنظومة الفكرية والأدبية التي كانت عليها الأندلس في أواخر القرن الرابع للهجرة، وأوائلِ القرن الخامس للهجرة، وقد بلغ عدد النصوص التي جمعناها من شعر الشاعر سبعةً وخمسين نصاً، (خمسون) نصّاً منها على أوزان الشعر العربي المعروفة، و (سبعة) منها في الموشحات، وقد وظف الشاعر في هذه الموشحات موهبته الأدبيّة، ورغبته في انتهاج سبيل التجديد في ضروب الشعر التقليدي، فكانت من أبرز مصاديق تلك الرغبة، بما يعبر عن روح العصر، وطبيعة الحياة الأندلسيّة؛ التي عشقت الجمال، والطبيعة، والغزل، بما يتلاءم مع متطلبات الغناء، والرقص؛ اللذين شاعا في الأندلس منذ وقت مبكر، وهو ما يناسبه إيقاع الموشح.

وفي شعر عبادة مزايا فنية، ارتقت به إلى منزلة متقدمة بين شعراء عصره، ولا بدّ لنا ونحن نتعرّف تلك المزايا؛ من الوقوف عند أبرز موضوعات شعره، وهي المديح، والرثاء، والغزل، والوصف، وغير ذلك...

يفصح شعر عبادة عن تشيّع واضح للبيت العلوي، وولاء كبير للدولة الحمّوديّة، وهي صفة لم يتبرّأ الشاعر منها، وظهرت جليّاً في شعره، وتناولها بروح المكابرة، والمباهاة، فها هو يتقدّم إلى الخليفة العلوي بالطاعة، والمبايعة له بقلبه، لا بلسانه، ويوازن بينه وبين الخلفاء الذين سبقوه من بني أميّة، فقال:

http://abu.edu.iq

أطاعتكَ القلوبَ ومن عصيّ ... وحربَ اللهِ حربَكَ يا عليّ
فكلٌّ من ادّعى معكَ المعالي ... كذوبٌ مثل ما كذب الدعيّ
أبى لكَ أن تهاض علاكَ عهدٌ ... هشاميٌّ وجدٌّ هاشميّ
وما سميت باسم أبيكَ إلاّ ... ليحيا بالسمي له السميّ
فإن قالَ الفخورُ أبي فلانٌ ... فحسْبُكَ أن تقولَ أبي النبيُّ(٥٩)

فالشاعر في هذه الأبيات يعقد موازنة بين الخليفة (علي بن حمود) وغيره من أصحاب البيوتات الأندلسية الوافدة على الأندلس من المشرق، فلن يستطيع أحد أن يفاخره؛ لأنّ نسبه يتصل بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يعلو على رسول الله أحد، فضلاً عن وصفه بأنّه سمي الإمام علي (عليه السلام) الذي يضفي عليه شرفاً وفضلاً، وهو بهذا جعل المعالي منحصرة به، وما سواه فهو مدّعٍ كذّاب.

ويقول في أبيات أخرى:

صلّى عليكَ اللهَ يا ابنَ رسولِهِ ... ووليِّهِ المختصّ بعدَ خليلِهِ(٦٠)

وقوله:

هذا عليٌّ ناصرَ الدينِ الذي ... نظمت لهُ غررَ السنا بحجولِهِ(٦١)

وحينما قتل الخليفة علي بن حمّود غيلة في قصره، تقدّم الشاعر إلى أخيه القاسم بن حمّود ليرثي الشهيد، ويهنئ الخليفة الجديد بخلافته، فقال:

صلّى عليِ الملكِ الشهيدِ مليكَهُ ... وسقاهُ في ظلِّ الجنانِ الكوثرَ
مولى دهتْهُ عبيدُهُ وغضنفرٌ ... تركَتْهُ أيدي العفرِ وهوَ معفّرُ
كانت تهيبُهُ الأسودُ فغالَهُ ... في قصرِهِ مستضعفٌ مستحقرُ
لم يثنِ عزُّ الملكِ عنهُ منونَهُ ... فسمتْ لهُ من حيثُ لم يكُ يحذرُ
قتلتهُ سراً والقبائلُ درّعٌ ... تحميهِ لكنَّ المنايا جسّرُ
ولو أنّها رامتهُ جهراً لانثنت ... والبيضُ تُقْرَعُ والقنا يتكسّرُ(٦٢)

ثمّ يخرج مادحاً القاسم، ويهوّن من هول الحادثة، ويفرغ روعه لأنّ القاسم سيحل محل الخليفة الشهيد، فإن هوى قمر فقد جاء قمر نيّر آخر محلّه، فقال:

ما غابَ بدرَ التمَ إلاّ ريثما ... جلّى الدجى عنّا الصباحَ الأزهرَ
إن يهوِ من أفقِ الخلافةِ نيّرٌ ... يهدي السبيلَ فقد تلاهُ نيّرُ
بالقاسمِ المأمونِ أفرحَ روعنا ... فالقسمُ وافٍ والنصيبُ موفّرُ(٦٣)

(٥٧) النص: ٥٠.
(٥٨) النص: ٣٦.
(٥٩) النص: ٣٥.
(٦٠) النص: ١٧.
(٦١) النص: ١٧.

http://abu.edu.iq

وتمضي الأيام قلقة، ويدبّ الصراع مرة أخرى في البيت العلوي بفعل الحاشية، والنساء، والملك[٦٤]، فيثب يحيى بن حمّود على السلطة، وينتزعها من يد عمه، وينصب نفسه خليفة، ووريثاً شرعيّاً بدلاً من عمّه القاسم بن حمّود ليجلس مكان أبيه الراحل، وليس أمام الشاعر إلاّ الامتثال لهذا الواقع الجديد، ويعد القضيّة داخليّة في الأسرة الواحدة، ولا شأن له فيها، أمّا هو فمحبٌّ لأهل بين النبوّة ومريدهم، فليس أمامه خيار إلا إعلان البيعة لهذا الفتى الثائر، وأنّ ولاءه للبيت الهاشمي إنما هو موروث من أبيه قيس بن سعد بن عبادة، وكان هذا من أقرب الناس إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد أكّد الشاعر في هذه الأبيات تشيّعه صراحة مثلما يقول ابن بسّام: « وكان عبادة يظهر التشيّع في شعره »[٦٥]، فقال:

فهـا أنـذا يـا ابـن النبـوّةِ نافـثٌ ... من القولِ أرياًغيرِ ما ينفثَ الصلُّ
وعنـدي صـريحٌ في ولائِكَ معـرقٌ ... تشـيّعه محـضٌ وبيعتـه بتـلُّ
ووالَى أبي قيسٌ أباكَ على العلا ... فخيَّم في قلبِ أبي هندٍ له غِلُّ[٦٦]

فهو يسميه (ابن النبوّة)، فهي موالاة واجبة لأهل البيت (عليهم السلام)، وأنها تسري في قلوبهم وأرواحهم ودمائهم، لقوله تعالى: ((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))[٦٧]، ولأنهم قد ورثوا هذا الحب وهذه المودّة عن آبائهم لسموّ المنزلة، والرفعة بالفطرة التي نشأوا عليها، فهو ابن الرسول، وهم أولاد الأنصار.

وللشاعر قصيدة أخرى في يحيى المذكور، قال فيها:

يـؤرّقني الليـلَ الـذي أنـتَ نائِمَـهْ ... فتجهـل مـا ألقـى وطرفَـكَ عالِمَـهْ
وفي الهودجِ المرقومِ وجهٌ طوى الحشى ... على الحزن واشي الحسنِ فيه وراقمُهْ
إذا شـاءَ وقفـاً أرسـلَ الحسـنَ فرعـه ... يظلّهـم عـن منـهجِ القصـدِ فاحمـهْ
أظلمـاً رأوا تقليـدُه الـدرَّ أم يـروا ... بتلـكَ اللآلـي أنّهـنَّ تمائمـهْ
وهـلْ شَـعرَ الـدّوحُ الـذي في قبـابِهِم ... تماثيلـهُ أن القلـوبَ كمائمـهْ[٦٨]

ولعبادة شعرٌ في الغزل، وغزله رقيق، ينمّ عن عاطفة جيّاشة، وإحساس جميل، ويغلب على غزله العفّة، فهو لم يصف مفاتن المرأة، ولم يفضح حبيبته، وإنما راح يصف ما تضمره من مواطن الجمال، ويخلط بينه وبين مفاتن الطبيعة المحيطة به، فيرسم ألواناً من الصور الحسيّة المتتابعة، فمن ذلك قوله:

(٦٢) ينظر: أعمال الأعلام في من بويع قبل الإظلام من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب، تح. ليفي بروفنسال: ٢ / ١٢٩، والبيان المغرب، لابن عذارى، تح. ليفي بروفنسال: ٣ / ١٢٢.
(٦٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١ / ٤٧٨.
(٦٤) النص: ٣٣.
(٦٥) الشورى: ٢٣.
(٦٦) النص: ٤٥.

http://abu.edu.iq

ولعوبٍ عَشِقَتْ روضَ الثّرى ... فهي ثانيه على طول البعدْ
فيرى الروضُ إذا ما وصلت ... أرجَ العرفِ من الطيب الجسدْ
عطِراً ملتبساً مُلتحفا ... في سرابيلَ من الحسنِ جددْ
كمحبٍّ زار محبوباً له ... فتحلّى للقاه واستعدْ
وإذا ما ودّعت أبصرتها ... في نحول العاشقِ الصبِّ الكمدْ
تلحظ النّورَ بلحظٍ فاترٍ ... مثل جفنٍ حائرٍ فيه رمدْ
وجفون النّورِ تهمي بالبكا ... كجفونِ الصبِّ من فقدِ الجلدْ
فهما في حيرةٍ عند النّوى ... كمحبّينِ أحسّا بالبعدْ[٦٩]

وهذا النص على الرغم ما فيه من وصف لمظاهر الطبيعة، فإنّ ملامح الغزل بادية، وبيّنة، وهي تكشف عن رغبة الشاعر في احتضان هذه الطبيعة، وما فيها من مواطن الإحساس بالنشوة، فيقرن المحبوب الذي زار حبيبه، وما تتطلبه هذه الزورة من استعداد، وتهيؤ للقاء، بذلك الروض العاطر؛ الذي استعدّ وتهيّأ للقاء الغيث؛ الذي يفيض عليه جمالاً، وبهاءً، ثمّ يوازن بين هذه الحالة (حالة اللقاء) بحال فراق المحبين بين انقطاع الصلة بينهما، وما يثيره من مواطن الشجو، والأسى.

وله شعر في الخمرة، يعكس نمط الحياة الأندلسيّة؛ الميالة إلى اللهو، والشرب، والطرب، ومجالس الأنس، فها هو يقول:

فهل ترى أحسن من أكوس ... يقبّلُ الثّغرَ عليها اليدا
يقولُ للساقي أغثني بها ... وخذْ لجيناً وأعدْ عسجدا
أغرق فيها الهمُّ لكن طفا ... حبابُها من فوقِهِ مُزْبَدا
كأنّما شيّبها شاربٌ ... أمسكها في كفّه سرمدا[٧٠]

والخمرة عنده موطن اللذّات، فهي تزيل الهمّ، وتجلي الكرب، فقال:

أجِلِ المدامةَ فهي خيرُ عروسِ ... تجلو كروبَ النّفسِ بالتنفيسِ
واستغنمِ اللذّاتِ في عهدِ الصبا ... وأوانِهِ لا عطرَ بعدَ عروسِ[٧١]

ووصف الشاعر الرياض الجميلة، وما فيها من ألوان الطبيعة الغنّاء، فرسم لنا أشكالاً من سحرها، وجمالها الفاتن؛ مما أثار خيال المتلقي، وجعله كأنه يرتع في وسط هذه الرياض، يشمُّ عبق روائحها، ويلتذُّ بطيب نسيمها، ويستمتع بجمال مناظرها، فها هو يقول:

أما ترَى باكرَ النّورِ الذي نجما ... كأنّهَ آئبٌ من غيبةٍ قدما
والقَطْرُ ساقٍ لهُ والبرقُ يعجِبُهُ ... سقْياهُ فَعَلّةَ داعي الشربِ بالندما
كأنّهُ سِلْكُ درٍّ حُلَّ أو كلفٌ ... بكى فلمّا دنا محبوبُه ابتسما
كأنَّ مبدِئَهُ في الأفقِ منتشراً ... أعادهُ في أنيقِ الرَّوْضِ منتظما[٧٢]

(٦٧) النص: ٨.
(٦٨) النص: ٩.
(٦٩) النص: ١٩.
(٧٠) النص: ٤٣.

http://abu.edu.iq

ونحن إذ نقرأ هذه الأبيات نلمس المشاركة الوجدانيّة بين عناصر الطبيعة، والحال النفسيّة التي كان عليها الشاعر وقت إنشائه هذه الأبيات، فالشاعر « أحسّ الوجود بأسره صورة عن ذاته، فراح يفيض من شعوره، ووجدانه على كل ما يقع عليه بصره، باعثاً فيه الحياة »[٧٣].

ولعلّ أهميّة عبادة تأتي من كونه المخترع الحقيقي لفن الموشحات مثلما أشار إلى ذلك ابن بسّام، وكأنّ الموشحات لم تسمع إلاّ منه، قال: « وكان أبو بكرٍ في ذلك العصر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة، سلك إلى الشعر مسلكاً سهلاً، فقالت له غرائبه: مرحباً واهلاً، وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منآدها، وقوّم ميلها وسنادها، فكأنّها لم تسمع بالأندلس إلاّ منه، ولا أخذت إلاّ عنه، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته»[٧٤]، وهذا معناه أنَّ الموشّح وصل إلى ذروته على عهده، وأنّه كان إماماً فيه، فقد طوّر في شكل الموشّح، وأدخل التضمين والتضفير، وهي الوحدات الداخليّة في الموشّح، وقد حفظ لنا كلّ من الصفدي[٧٥]، وابن شاكر الكتبي[٧٦] موشحين لعبادة، مثلما حفظ ابن بشر الغرناطي خمس موشحات له[٧٧]، والموشحة الأولى تتكوّن من ستّة مراكيز وخمسة أبيات، وخرجتها معربة، والمركز يتكوّن من أربع وحدات داخليّة، والبيت يتكوّن من ست وحدات، ويرد في الخرجة اسم الممدوح (علي بن حمود) الذي نظمت الموشحة من أجله، يقول فيها:

من ولي – في أمة أمراً ولم يعدلِ يَعْزَل – إلاّ لحاظ الرشأ – الأكحلِ

- ١ -

جُرْتَ في – حكمِكَ في قتلي يا منصفُ
فانصفِ – فواجبٌ أن ينصِفَ المنصِفَ
وارأفِ – فإنّ هذا الشوقَ لا يرأفِ
علّل قلبي بذاك البارِدِ السلسلِ ينجلي – ما بفؤادي من جوى مشعلِ

- ٢ -

أنّما – تبرزُ كي توقدَ نار الفتنْ
صفا – مصوراً في كل شيء حسنْ
إن رمى – لم يخطِ من دون القلوب الجَنَنْ
كيف لي – تخلّصٌ من سهمك المرسلِ فصلِ – واستبقني حياً ولا تقتلِ

- ٣ -

يا سنا – الشمس ويا أبهى من الكوكبِ
يا منى – النفس ويا سؤلي ويا مطلبي
ها أنا – حلّ بأعدائك ما حلّ بي
عذّلي – من ألم الهجرانِ في معزلِ والخلي – في الحب لا يسأل عمّن بلي
أنتَ قد – صيّرتَ بالحسن من الرشد غي

(٧١) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي: ٢٣٨.
(٧٢) الذخيرة: ١ / ٤٦٨ – ٤٦٩.
(٧٣) ينظر: توشيع التوشيح، تح. البير حبيب مطلق: ١١٣ – ١١٥، والوافي بالوفيات، تح. د. وداد القاضي: ١٦ / ٦٢٥ – ٦٢٦.
(٧٤) ينظر: فوات الوفيات: ٢ / ١٥٢ – ١٥٣.
(٧٥) ينظر: عدّة الجليس، تح. جونس ألان: ٢١٤، ٢١٥، ٣٤٠، ٣٤١.

http://abu.edu.iq

لم أجد – في طرقي حبك ذنباً علي
فاتئد – وإن تشأ قتلي شيئاً فشي
أجمل – ووالني منك يدَ المفضل فهل لي – من حسنات الزمن المقبل

- ٥ -

ما اغتدى – طرفيَ إلاّ بسنا ناظريك
وكذا – في الحبِ ما بي ليس يخفى عليكْ
ولذا – أنشدَ والقلب رهينٌ لديكْ
يا علي – سلّطت جفنيك على مقلتي فابق لي – قلبي وجد بالفضل يا موئلي[٧٨]

وقد وجدت هذه الموشحة صدى كبيراً في المشرق والمغرب، وقلّدها وشاحون كبار، والصفدي نفسه نظم على منوالها ووزنها أكثر من موشحة، وقال فيها: « رأيت ذكره الذي طار طائره، وصبحه الذي ضوء الآفاق سافره، وبديعه الذي غلب من يسومها جواهره، فأردت أن أنظم في هذا الوزن شيئاً »[٧٩]، ولكن الموشحات التي نظمت على غرار هذه الموشحة كانت عيالاً عليها، ومثلما ذكر ابن سعيد الغرناطي الأندلسي في المقتطف قائلاً للملك الناصر، وقد أنشده من محاسن الدوبيتات ما أمر بكتابته، وجواباً على مقولة للملك في تعليقه على الدوبيتات: (هذا طراز لا تحسنه المغاربة): « يا خوند: كما أن الموشحات والأزجال طراز لا تحسنه المشارقة، والمحاسن قد قسمها الله تعالى على البلاد والعباد »[٨٠].

وجاء الموشح في شعر عبادة على أنماط، هي:

أولاً: موشحة مركّبة من أربع وحدات في المراكيز، وست وحدات في الأغصان، في قوله:

المركز: من ولي – في أمة أمراً ولم يعدلِ يعزَلِ – إلاّ لحاظ الرشأ – الأكحلِ
الأغصان: جَرَتَ في – حكمكَ في قتلي يا منصفَ
فانصفِ – فواجبَ أن ينصِفَ المنصِفَ
وارأفِ – فإنَ هذا الشوقَ لا يرأفِ
الخرجة: يا علي – سلّطت جفنيك على مقلتي فابق لي – قلبي وجد بالفضل يا موئلي[٨١]

ثانياً: موشّحة مركّبة مرصّعة من خمس وحدات في المراكيز، وست وحدات في الأغصان، في قوله:

المركز: حبّ المها عبادة من كل بسّام السراري
الأغصان: قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنه الأبدعْ
لله ذات حسن مليحة المحيّا
لها قوامَ غصن وشنفها الثريا
والثغر حب مزن رضابه الحميّا
البيت الأخير مع الخرجة: عفيفة الذيول نقيّة الثيابِ
سلاّبة العقولِ أرق من شرابِ

(٧٦) النص: ٥١.
(٧٧) المقتطف من أزاهير الطرف، ابن سعيد الأندلسي، أطروحة دكتوراه للباحث الأول، في جامعة غرناطة، الفقرة: ٥١٣.
(٧٨) المصدر نفسه: ف.
(٧٩) النص: ٥١.

http://abu.edu.iq

أضحى بها نحولي في الحبِ من عذابي
في النوم لي شرادة أو حكمها حكم اقتدار
كلّما أمنع منها فإن طيف الخيال زارني أهجع[٨٢]

ثالثاً: موشحة مركبة من تسع وحدات في الأغصان، وست وحدات في المراكيز، في قوله:

الأغصان	يا لائماً جفا ❖ ملامي ❖ زاد في نقمي
	برحت بالخفا ❖ سقامي❖ قد برا جسمي
	والسهد قد نفا❖ منامي ❖ ومحا رسمي
المركز	فها أنا لقا ❖ إنني ❖ قد كفاني اللوم
	والسهد أرقا ❖ جفوني ❖ وحماها النوم
البيت الأخير مع الخرجة	يا فرحتي وقد ❖ بدا لي ❖ وجه محبوبِ
	وأظهر الجلد ❖ وحالي ❖ حال يعقوبِ
	فقلت والسهد ❖ يوالي ❖ كلّ مرغوبِ
	طيراً محلقاً ❖ حنيني ❖ أين غبت اليوم
	باتت مورقاً ❖ جفوني ❖ لم تذق النوم[٨٣]

رابعاً: موشحة مركبة من ست وحدات في الأغصان وأربع وحدات في المراكيز، في قوله:

الأغصان	دمَ الصبِ ❖ وإن عزِ مطلولِ
	فذرْ عتبِ ❖ فلومكَ تضليلُ
	فذو الحبِ ❖ عن العذل مشغولُ
المركز	بأشواقِ ❖ فكلني لوسواسِ
	أذب عشقاً ❖ فما فيه من باسِ
البيت الأخير مع الخرجة	لقد تمّنا ❖ وهيّج أشواقي
	متى غنّى ❖ ليبقى مع الساقي
	إذا ضنّا ❖ فيظفر بالباقي
	أيا ساقِ ❖ أفر عنّي أكواسي
	عسى نبقى ❖ ويسكر جلاسي[٨٤]

(٨٠) النص: ٥٢.
(٨١) النص: ٥٣.
(٨٢) النص: ٥٤.

http://abu.edu.iq

خامساً: موشحة مركبة من أربع وحدات في المراكيز، وست وحدات في الأغصان، في قوله:

المركز — ما حالَ من لَه نَفَسٌ هافتٌ وأدمعٌ سجامْ
وزفرةٌ يجيشُ لها الصدرُ من لوعة الغرامْ

الأغصان — هو الهوى وأيسره شجوٌ يعيا به الطبيبْ
يلوم فيه من قلبه خلوٌ من لوعة الوجيبْ
يا شادناً تملّكه الزهو رحماك في كئيب

البيت الأخير مع الخرجة — أحييت والهاً من الوجدِ حنّ لآلهِ والوجد لا يعبر بالوجدِ عن كنه
حالهِ أشدوك هائماً راح من وجدي يوم ارتحالهِ
إن زرت في طبير بن ثابتْ فاقرأهم السلامْ
قل لهم عبّاد الذي ندر باقي على الذمامْ[٨٥]

سادساً: موشحة مركبة مرصعة من أربع وحدات في المراكيز وست وحدات في الأغصان على النحو الآتي:

المطلع — هل لما بي طبيبٌ من أليم النهشِ
آهِ من علّتي قد دنا توديعْ

الأغصان — ذهبت صحتي بالكرا الممنوعْ
يا ذوي خلّتي كيف بالملسوع

القفل — من جفون ربيبٌ شارد الوحشِ
ردّ جسمي سقيم لا يرى في الفرشِ

البيت الأخير مع الخرجة — زرته هائماً في تناهي سكري
واقعاً قائماً ليس شيئاً أدري
فشدا ناظماً ما رأى من أمري
يا جمال الحبيبْ إذا أتانا يمشي
ويقع ويقومْ ويقول اش ذا اشْ[٨٦]

سابعاً: موشحة مكونة من وحدتين في المراكيز وست وحدات في الأغصان على النحو الآتي:

كيف أن يسلا من براه الهجرِ

الأغصان — في هوى من لا يتعاطى البدرِ
حسنه كلا ليس عنه صبرِ

القفل — سرَيَ المكتومِ في هواه فاشِ

البيت الأخير مع الخرجة — مال إذ مرا ماشياً كالغصنِ
يفضح البدرا من تناهي الحسنِ
وشدا عذرا من حياءٍ مني

(٨٣) النص: ٥٥.
(٨٤) النص: ٥٦.

http://abu.edu.iq

ونقع ونقوم ونقل اش ذا ش[٨٧]

وفي شعر عبادة عدد من المظاهر الفنية التي تستوقفنا، وهي مظاهر عكست – في جانب منها – رغبة الشاعر في التعبير عن مكنونات نفسه، وما تجيش به من عواطف في موقف انفعالي معيّن، وأول هذه الخصائص أنّ أغلب ما جمع من شعره عبارة عن مقطوعات قصيرة لا تتجاوز أبياتها السبعة، وقد أسهمت مجموعة من العوامل، والظروف الموضوعيّة، والفنيّة في توجّه الشاعر إلى نظم هذا اللون من الأداء الشعري، منها ما يتعلق برغبته « في إسماع الآخرين ما يريد أن يقول، أو جعل شعره سائراً على ألسنة الناس ليحفظوه »[٨٨]، أو اقتصاره على فكرة معينة لا تسمح له بالإطالة[٨٩]، ومنها ما يتعلّق بطبيعة العصر، وما شهده من تحوّلات حضاريّة شملت أنماط الحياة كافّة؛ مما أدّى إلى انصراف الناس عن سماع الأعمال الأدبيّة المطوّلة[٩٠]، وانتشار الغناء، وما يتطلّبه من أشعار قصيرة تصلح للإعادة والتكرار[٩١]، ويرى الدكتور يوسف حسين بكّار أنّ أسباب النظم في المقطوعات تكمن في اتجاهات ثلاثة؛ فني، ونفسي، وشكلي، فأمّا الفنّي؛ فإنّ الشاعر ينظم مقطوعته من أجل أن يبعد السامع عن الحشو، والإطالة، ويميل نحو الإيجاز، وتكثيف المعنى، وأما الاتجاهان النفسي، والشكلي؛ فتنحصر قيمتهما في أنّ المقطوعات أسرع في الحفظ، وأعلق في النفوس من المطوّلات[٩٢].

ويبدو أنّ هذه العوامل هي ذاتها التي قادت عبادة بن ماء السماء إلى النظم في المقطوعات، وتكثيف المعنى فيها؛ من أجل إيصاله إلى المتلقي في حلّة قشيبة، وأسلوب جميل، وصياغة رائعة، فضلاً عن أننا نرجح ضياع كثير من القصائد الطويلة – عنده – ولم يبق منها إلاّ ما عنت كتب الأدب بإيراده، مما يصلح أن يكون شاهداً لما هم بصدد الحديث عنه.

وشمل النظم في المقطوعات عند الشاعر موضوعات شعريّة متنوعة؛ وجد في بناء المقطوعة ما يستوعب فكرته، وانفعاله العاطفي، فهو يصف ليلة سعد فيها بمغازلة القيان، والجواري الحسان، ونعم فيها بشرب الكأس من يد ساقٍ جميل، فقال:

ولَيْلَةٍ للسرورِ كانَ لها ... بحسّنِ ساقٍ كحسّنِ خلخالِ
قصيرةٍ أقصرَ الغرامُ بها ... كأنّها مستَهَلُّ شوّالَ
ناولَني الكأسَ بدرُها بيدٍ ... عُنّابُها من طريفِ انفالَ
يعُلّني ريقةَ الحياةِ فمٌ ... قَضَى بتعطيلِ كلِّ علاّلِ[٩٣]

وفي وصف الخيري قال:

وكأنّ الخيريّ في كتمه الطـ ... ـبَ فقيه مغرىً بطول رياء
يُظْهِرُ الزهدَ بالنّهار ويمسي ... فاتِكاً ليلَه مع الظرفاءِ[٩٤]

(٨٥) النص: ٥٧.
(٨٦) شعراء أمويون، د. نوري حمودي القيسي: ٤ / ٣٣٢.
(٨٧) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة: ١٤٨ – ١٤٩.
(٨٨) ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف بكار: ٣٥٦ – ٣٥٧.
(٨٩) ينظر: حياة الشعر في الكوفة، د. يوسف خليف: ٦٠٤.
(٩٠) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف بكار: ٢٤٤ – ٢٤٥.
(٩١) النص: ٢٠.
(٩٢) النص: ١.

http://abu.edu.iq

فهو يقدم صورة انفعالية لتلك الزهرة الجميلة التي يضوع عطرها في الليل، ويختفي في النهار، في بيتين استوعبا أحاسيس الشاعر، وانفعالاته الوجدانية، بما يفصح عن رغبة الشاعر في التعبير عن الوصف الحسي لهذه النبتة الجميلة.

* * *

والمتأمِّل في ألفاظ الشاعر، يمكن له أن يخرج بنتيجة عامَّة مفادها أنَّه نوَّع في اختيار الألفاظ السهلة، والدالّة على معانيها، والموحية بمشاعره، وأحاسيسه، ومكنونات نفسه، وهي نتيجة منطقيَّة تحكَّمت فيها عوامل متعددة؛ أسهمت مجتمعة في صبغ شعر الشاعر بهذه السمات، منها التطوّر الحضاري الذي عمَّ الأندلس خلال الحقبة التي عاش فيها، على المستويين المادّي، والفكري، وتطوّر إحساس الشعراء بقيم العصر الفنيَّة، وذوقه الحضاري، ومن الأمثلة على تلك السهولة، والوضوح، في شعره؛ قوله:

سقى اللهَ أيّامي بقرطبة المنى ... سروراً كريّ المنتشي من شرابه
وكم مزِجت لي الراح بالريق من يدي ... أغرّ يريني الحسن ملء ثيابه
أوان عذاري لم يرع بمشيبه ... شبابي ولم يوحش مطار غرابه
تعلّلني فيها الأماني بوعدها ... وهيهات أن أروي بورد سرابه
سل الغنم البادي من السجن دانفاً ... لتعذيب قلبي هل دمي من خضابه[٩٥]

ومن يقرأ هذه الألفاظ؛ يجدْها سهلةً، لا أثرَ للتعقيد فيها، والشاعر من خلالها ينفذ إلى عقل المتلقّي، ومشاعره، فيداعب خياله، وعاطفته، وفي ذلك قال أحد الباحثين: «إنَّ الألفاظ المألوفة، ولا أقول المبتذلة، هي التي تستطيع – في الغالب – أن تستنفد إحساس الشاعر، كما أنَّها أقدرُ من الألفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا إلى التداعي، وقد كثُر استعمالنا لها في الحياة، فتحدَّدت معانيها، وتلوَّنت بلون نفوسنا، فحملت شحنة عاطفيَّة...»[٩٦]، وهذا التوظيف للألفاظ السهلة، والواضحة؛ يعكس رغبة الشاعر في مخاطبة طبقات المجتمع على اختلاف ثقافاته، ودفع الملل، والسأم الذي قد يعتري المتلقي، وهو يسمع كلاماً جافياً شقَّ عليه فهمه، وإدراك معانيه.

والإيحاء من مزايا لغة الشعر، ونعني به «قدرة الكلمة على أن تثير جملة انفعالات قويَّة، جميلة، إلى جانب ما تؤديه من معنى»[٩٧]. وقد وظَّف الشاعر هذه المزيَّة في كثير من شعره، فجاءت نصوصه مليئة بالشحنات العاطفيَّة؛ التي تبيِّن رغبته في إحداث نوع من التفاعل بين المتلقي وأحداث النص، وتوجهاته الانفعالية، فمن الأمثلة على ذلك قوله:

هذي وفود الروم نحْوكَ بادَرَتْ ... أمّ القطا للمنهلِ المورودِ
وصلوا على مثلِ الصراطِ إليْكَ منْ ... هولٍ وأنفسهم بلا مجلودِ
في جحفلٍ كالرَّوْضِ في ألوانِهِ ... يهفو بأعلاه سحاب بنودِ
وكأنَّما الحيّاتُ فاغرةٌ بهِ ... تومي إلى الأعداءِ بالتهديدِ
وكأنَّما العقبانُ في نفحِ الصبا ... تهوى إلى صيد الكماةِ الصِّيدِ[٩٨]

(٩٣) النص: ٤.
(٩٤) في الميزان الجديد، د. محمد مندور: ٧٨.
(٩٥) في النقد الأدبي الحديث، د. محمد عبد الرحمن شعيب: ٢٠١.
(٩٦) النص: ١٣.

http://abu.edu.iq

والمتأمّل لألفاظ هذه الأبيات ؛ يجدها ملأى بالشحنات العاطفيّة ؛ التي تؤثر في المتلّقي ، من خلال الإيحاءات التي تعكسها ، ف (جحفل كالروض... ، الحيّات فاغرة ، العقبان... تهوى إلى صيد الكماة ، ...) ألفاظ حملت تلك الشحنات التي ترجم لها السياق الذي وردت فيه ، من خلال العلاقات التي تحكم الجملة ، وتعكس إيحاءات متعددة تجمع بين الرهبة ، والخوف من جانب الأعداء ، والقوة والمنعة من جانب الخليفة.

أما على مستوى تركيب الجملة ، فإنَّ النظرة الفاحصة لشعر عبادة ؛ تؤكّد هيمنةً واضحةً للجملة الفعليَّة ، ويبدو أنَّ طبيعة الفعل ، وما يشتمل عليه من حركة ، وعدم استقرار ؛ لاقترانه بالحدث ، والزمن ؛ قد رجّح ميل الشاعر إلى هذا النوع من الجمل ، وهو ما أدّى إلى أن تكون نصوصه مفعمةً بالحركة ، والاستمراريّة في الحدث ، في حين نجد أنَّ الجملة الاسميّة ؛ بدلالتها على الحدث ؛ تضفي على النص صفة الثبوت ، والاستقرار[٩٩] ، ويعلل الدكتور صلاح فضل ميل الشعراء إلى الجملة الفعليَّة أكثر من ميلهم إلى الجملة الاسميَّة بقوله : إنَّ الجمل الاسميّة – في الغالب – قصيرة ، والجمل الفعليَّة أكثر طولاً ؛ إذ إنَّ كثيراً من الأفعال تتعدّى إلى المفعول ، وقد تتعدّى إلى المفعولين ، وهذا يترتّب عليه مزيداً من الحيويّة ، والوضوح ، في الجملة الفعليَّة[١٠٠].

ومن الأمثلة على توظيف الجملة الفعليَّة في شعر عبادة قوله :

سقى الله أيّامي بقرطبة المنى ... سروراً كريّ المنتشي من شرابه
وكم مزِجت لي الراح بالريق من يدي ... أغرّ يريني الحسن ملء ثيابه
أوان عذاري لم يرع بمشيبه ... شبابي ولم يوحش مطار غرابه
تعلّلني فيها الأماني بوعدها ... وهيهات أن أروي بورد سرابه
سل الغنم البادي من السجن دانفاً ... لتعذيب قلبي هل دمي من خضابه[١٠١]

فالشاعر بنى هذه الأبيات على توالي عدد من الجمل الفعليَّة ، شكَّلت بمجموعها حركيَّة النص ؛ مما أدّى إلى إحداث لون من التنويع الخصب ؛ الناتج من تعدد أزمان الفعل ، وتنوّع حالاته ، واستثماره طاقة اللغة ؛ بمستوياتها كافَّة[١٠٢] ، فالأفعال : سقى ، ومزجت ، ويريني ، ويرع ، ويوحش ، وتعلل ، وأروي ، وسل ، ، بتنوّع حالاتها بين الماضي ، والمضارع ، والأمر ؛ قد أضفى على النص مزيداً من الحيويّة ، والحركة ، والتجدّد ، وحتى انَّ الجملتين الاسميتين في النص : (أغر يريني الحسن ، وأوان عذاري لم يرع...) لم تخرجا عن هذه الحيويّة ، والتجدّد ؛ إذ كان الخبر فيهما جملة فعليّة (يريني ، و يرع) ؛ مما دعم حال الحركة ، والتجدد ؛ اللتين هيمنتا على أجواء النص.

ومن أمثلة الجملة الاسميَّة ؛ بدلالتها على الثبوت ، قوله في بني حمّود مادحاً ، ومبرزاً تشيّعه :

فها أنذا يا ابن النبوّة نافثٌ ... من القول أرياً غير ما ينفث الصلّ
وعندي صريحٌ في ولائك معرقٌ ... تشيّعه محضٌ بيعته بتلُّ[١٠٣]

(٩٧) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٨٧ – ٨٨.
(٩٨) ينظر : علم الأسلوب ؛ مبادئه وإجراءاته ، د. صلاح فضل : ٢٤١.
(٩٩) النص : ٤.
(١٠٠) ينظر : علم الأسلوب ؛ مبادئه وإجراءاته : ٢٤١.
(١٠١) النص ٣٣.

http://abu.edu.iq

فالجمل الاسميَّة (أنا نافثٌ، و عندي صريحٌ، و تشيّعه محض، و بيعته بتلُ) أسهمت في تشكيل عقيدة الشاعر الراسخة؛ الذي انبنت شخصيّته على هذه الصفات، حتى صارت جزءاً منها، وقد أفادت الجملة الاسميّة بتتابعها في سياق هذه الأبيات على الثبات.

* * *

أمّا الأوزان الشعرية، فقد نوّع الشاعر في استعمالاتها، ومن خلال دراسة الأوزان يتبيّن أنّ (الكامل[١٠٤])، والطويل[١٠٥]) حظيا بالنسبة الكبرى من استعمال الشاعر لأوزان الشعر العربي؛ إذ بلغت عدد النصوص التي نظمها في تفعيلات هذين الوزنين (٢٥) نصاً شعرياً، بنسبة مئوية تقدّر ب (٤٣.٨ ٪) من مجموع ما نظمه الشاعر، وهذا الاستعمال لهذين الوزنين؛ لا يبتعد كثيراً عمّا قرّره الباحثون المحدثون في نسبة شيوع الأوزان في الشعر العربي القديم[١٠٦]، فنرى وزن الكامل ومجزوءه قد تصدّر الأوزان الأخرى فكانت عدد النصوص التي نسجت في تفعيلاته (١٤) نصاً شعرياً، مشكّلاً نسبة (٢٤.٥٦٪) من مجموع النصوص، ويبدو أنّ طبيعة تفعيلات هذا الوزن؛ بوصفه « أكثر بحور الشعر العربي غنائية، ولينا، وانسيابيّة، وتنغيماً واضحاً، إلى جانب كونه يتألف من وحدة، صافية، مكررة »[١٠٧]؛ قد جعلت الشعراء يميلون إليه في استيعاب عواطفهم، ومشاعرهم الانفعاليّة، فيما بلغ عدد النصوص الشعريّة؛ التي نسجت في تفعيلات الطويل (١١) نصاً، مشكّلاً نسبة (١٩.٢٪) من مجموع النصوص الكلي، ولعلّ أعاريض هذا الوزن، وما فيها من فخامة، ورصانة؛ جعلت الشاعر يميل إلى توظيفه في المقاصد التي من شأنها أن يكون نظم الكلام فيها جزلاً[١٠٨]، ومستوعباً الحال النفسيّة؛ التي رافقت الشاعر وقت إنشاء النص، وتوزّعت النسبة الباقية من الأوزان بين (الخفيف[١٠٩]، والمنسرح[١١٠]، والسريع[١١١]، والبسيط[١١٢]، والرمل[١١٣]، والوافر[١١٤]، والمجتث[١١٥])، وبلغ عدد الموشحات (٧) موشحات[١١٦].

وهذه الأوزان استوعبت انفعالات الشاعر، وتجاربه العاطفيّة، وكان اختياره الوزن الشعري يتمّ بصورة عفويّة، أو مقصودة؛ تتجاوز ما قرّره بعض الباحثين في ارتباط الوزن بالغرض الشعري[١١٧]، ومصداق ذلك؛ أنّ الشاعر نظم في هذه الأوزان ألواناً من الموضوعات الشعريّة؛ التي اتّسعت لها تفعيلاتها؛ لتكون

---

(١٠٢) النصوص: ١٠، ١٣، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٠، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٧.
(١٠٣) النصوص: ٤، ٦، ١٢، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٣، ٤٥، ٤٦.
(١٠٤) ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس: ١٦١.
(١٠٥) العروض والقافية، د. عبد الرضا علي: ٣٨.
(١٠٦) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تح. محمد الحبيب بن الخوجة: ٢٠٥.
(١٠٧) النصوص: ١، ٧، ٢١، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤٨.
(١٠٨) النصوص: ١٥، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٤١، ٤٤.
(١٠٩) النصوص: ٢، ٣، ٩، ١١، ٣٤.
(١١٠) النصان: ٤٣، ٤٩.
(١١١) النصان: ٨، ٢٨.
(١١٢) النص: ٥٠.
(١١٣) النص: ٥.
(١١٤) النصوص: ٥١ – ٥٧.
(١١٥) ينظر على سبيل المثال: إلياذة هوميرس، تعريب سليمان البستاني: ٩١ – ٩٢، ودراسات في النص الشعري عبدة بدوي، : ١١٦، ١٨٠، وفن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي: ٤٤، ٦٨، ٨٤، وفي النقد الأدبي الحديث – منطلقات وتطبيقات، د. عبد الرضا علي: ٣٨، والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب: ١ / ٧٢، وميزان الشعر د. بدير متولي حميد: ٣٣، ونظريّة إيقاع الشعر العربي، محمد العياشي: ٢٩١، ويبدو أنّ هؤلاء جميعاً تأثّروا بحازم القرطاجني الذي نحى هذا المنحى في كتابه. ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٠٢ – ٢٠٥.

http://abu.edu.iq

إطاراً لتجربته الانفعاليَّة، فالشعر « فيضٌ تلقائيٌّ لمشاعر قويَّة، والشاعر عندما تجيش نفسه بالشعر، لا يضع في اعتباره بحراً، أو قافية، وإنما يأتي هذا طواعية؛ ليلائم أحاسيسه، وانفعالاته »[١١٨].

وتنوعت قوافي الشاعر، فشملت أغلب حروف الهجاء العربيَّة؛ بنسب متفاوتة، ونلحظ أن حروف اللام، والباء، والميم، والدال شكّلت النسبة الكبرى في استعمالات الشاعر بنسبة (٤٣.٨ ٪) من النسبة الكلية، في حين توزعت النسبة الباقية بين حروف (الهمزة، والسين، والصاد، والضاد، والقاف، والفاء، والكاف والياء)، ويبدو أنَّ توزيع الحروف على هذا النحو من التفاوت؛ راجعٌ إلى أمرين:

الأول: مقدار الكلمات العربيَّة؛ التي تنتهي أواخرها بهذه الحروف، وهي تمثّل – أيضاً – الثروة اللغويَّة؛ التي ينبغي على الشاعر أن تستوعب ذاكرته عدداً كبيراً منها، فالراء، والدال، والنون، واللام، والميم؛ جاءت في أواخر كلمات كثيرة اشتملت عليها اللغة العربيَّة[١١٩]، ومن ثَمَّ؛ فإنَّ للشاعر حريَّة انتقاء المفردات؛ التي تتلاءم وحاله النفسيَّة، وطبيعة الحدث الشعري الباعث؛ من دون أن يعمد إلى تكلّفٍ في اختيارها.

والأمر الآخر: ما تنماز به أصوات الحروف من خصائص؛ تؤهلها لأن تكون محطَّ أنظار الشاعر؛ بوصفها تنسجم مع الحال النفسيَّة، وطبيعة الحدث الشعري الباعث، فصوتا الباء، والدال – مثلاً – من الأصوات المجهورة، الشديدة[١٢٠]، وهي من أصوات الإطباق والقلقلة؛ التي يصاحب النطق بها اهتزاز شديد في الوترين الصوتيين[١٢١]، وأصوات اللام، والنون، والميم – مثلٌ آخر – من الأصوات المجهورة؛ التي جمعت بين الشدَّة، والرخاوة؛ مما يجعلها « أكثر وضوحاً في السمع »[١٢٢]، فتكون هذه الأصوات أكثر تعبيراً – من غيرها – في تصوير انفعالات الشاعر، وعواطفه، ولاسيَّما إذا تكرَّر هذا الصوت في مواضع أخرى من البيت، والقصيدة، وهذه الميزات؛ هي التي قدَّمت هذه الحروف على غيرها؛ مقترنةً بالأمر الأول.

❖ ❖ ❖

وفي شعر عبادة ألوان من الفنون البلاغية التي عبّرت عن مقدرته في إظهار مواهبه، وإحساساته، وتلوين نصوصه الشعريَّة بما تنطوي عليه عواطفه، وأخيلته، فمن ذلك التشبيه، في قوله:

كأنّ السّماءَ قبّةٌ من زَمرّدٍ ... وفيها الدراري من عقيقٍ مَسامِرُ[١٢٣]

وقوله:

كأنّ يمناه على ناظرٍ ... منه ويسراه على حاجبِ[١٢٤]

---

(١١٦) عضوية الموسيقى في النقد الشعري، د. عبد الفتاح صالح: ٨.

(١١٧) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٨، وتوصف هذه الحروف بالقوافي الذلل؛ لسهولة مخارجها، وكثرة أصولها في الكلام. ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١ / ٤٦ – ٤٧.

(١١٨) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح. حسن هنداوي: ١ / ٦١، والمقصود بالجهارة في الصوت أنَّه حينما يُنْطق بهذه الأصوات يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما اقتراباً جزئياً؛ إذ يمكن للهواء الخارج من خلالهما أن يفتحهما، ويغلقهما بشكل سريع ومنتظم، وهو ما يعرف بذبذبة الأوتار الصوتيَّة، والأصوات المجهورة في العربية هي: (م، ب، ذ، ظ، د، ض، ز، ل، ن، ر، ج، غ، ع). ينظر: في فقه اللغة وقضايا العربية، د. سميح أبو مغلي: ١٤.

(١١٩) ينظر: في فقه اللغة وقضايا العربية: ١٦.

(١٢٠) الأصوات اللغويَّة، د. إبراهيم أنيس: ٢٨.

(١٢١) النص: ١٦.

(١٢٢) النص: ٢

http://abu.edu.iq

وتشبيهاته – في الغالب – حسيّة، لا تعقيد فيها، استمدّ أركانها مما يحيط به من عناصر الطبيعة، ونلحظ أنه يكثر من استعمال الأداتين (الكاف، وكأنّ) في ربط عناصر التشبيه، محاولاً إيصال مغزاه إلى المتلقي في سهولة، ويسر.

ومن استعماله الاستعارة قوله:

أيّ ركنٍ من الرياسةِ هَيَضا ... وجسومٍ من المكارمِ غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى ... كي يوافوا به ثراهَ الأريضا
مثل حمل السحابِ ماءً طيّباً ... لتداوي به مكاناً مريضا[١٢٥]

فقد جعل للمكارم جسوماً، ونسب المرض للمكان، وهي استعارات تشخيصيّة؛ أسهمت مجتمعة في رسم الصورة الكليّة للنص.

ووظف الكناية في قوله:

قَمَرَ المدينَةِ كيف منكَ خلاصَ ... أوَ أينَ عنكَ إلى سواكَ مناصَ[١٢٦]

ولفنون علم البديع نصيب في شعره، منها الجناس بين (فلك، وحلك) في قوله:

إنّما الفتحَ هلالٌ طالعٌ ... لاحَ في أزرارِهِ في فَلَكِ
خدُّ شمسٍ، وليلُ شَعره ... من رأى الشّمس بدت في حَلَكِ[١٢٧]

والطباق بين (أسلفني، واستردّني) في قوله:

كأنّما الحبُّ كانَ أسلفني ... نفسي ثمّ استردّني سلفي[١٢٨]

وهكذا، فقد حفل شعر الشاعر بمقومات الفن، التي ارتقت بشعره إلى مصاف الشعراء المتقدمين في عصره، وقد اصطبغ شعره بروح العصر، ومقومات الحضارة، فكان نتاجه الشعري جزءاً من تلك المنظومة الإبداعية التي اشتهرت في الأندلس في القرن الرابع والخامس الهجريين.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله، وصحبه أجمعين...

أما بعد؛

فها نحن نحطّ رحالنا؛ لنصل إلى خاتمة رحلة طويلة قضيناها في أروقة الكتب؛ باحثين، ومنقّبين عن سفر شعري نفيس؛ تمثّل في نتاج واحد من شعراء الأندلس الذين عفّى الزمن على آثارهم، على الرغم من شهرتهم، وذيوع صيتهم، فكان هذا البحث؛ الذي عنى بجمع نتاج عبادة الشعري، ودراسته في الموضوع، والفن، وما يمكن تسجيله – في هذا المقام – أنّ ما جمعناه من شعر عبادة يمكن أن يشكّل صورة وافية عن شخصيّة هذا الرجل، وتفاعله مع بيئته، ورجالات عصره، مثلما يكشف عن توجهه المذهبي (الشيعي)، وموالاته لرجالات الدولة الحمّودية، ورثاء من توفي منهم.

(١٢٣) النص: ٢١.
(١٢٤) النص: ٢٠.
(١٢٥) النص: ٢٨.
(١٢٦) النص: ٢٤.

http://abu.edu.iq

وتنوّع شعره في المضامين، والموضوعات، فشهدنا المديح، والرثاء، والوصف، والغزل، وهو في هذا مساير لروح العصر، ومتأثّر إلى حد كبير بالطبيعة الأندلسيّة التي ضمّن كثيراً من مباهجها في شعره.

وعلى نحو الإجمال: فقد اشتمل شعر عبادة بن ماء السماء على مجموعة من الخصائص الفنية، والموضوعيّة؛ ارتقت به إلى منزلة الشعراء المتقدمين في عصره، وما فن الموشحات إلاّ دليل على مقدرة هذا الشاعر، وموهبته، وتمكّنه من أدواته الفنيّة، ورغبته في مجاراة قيم العصر، وذوقه الفني، فجاءت نتاجاته الأدبيّة مسايرة لتلك الروح الأندلسيّة التي عشقت الطبيعة، وذابت في أحضانها، واغترفت من نعيم خيراتها الوارفة، فكانت هذه النصوص مصاديق لذلك الأمر كله.

عملنا هذا لله، فإن وفقنا فبفضل منه جلّ وعلا، وإن قصّرنا، فحسبنا انا اجتهدنا، ولا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها، عليه توكلنا، وعليه فليتوكل المتوكلون... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المخطوطات:

١. مسالك الأبصار في ممالك ألأمصار، العمري، مج١١ – مخطوطة صوفيا برقم ٢٧٢٧، ، ومج ١٦، مخطوطة باريس برقم ٢٣٢٦، ومج ١٧، مخطوطة باريس برقم ٢٣٢٧، وكلها مصورة في مكتبة الدكتور عدنان آل طعمة (الباحث الأول).

المطبوعات العربية:

٢. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدّارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
٣. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف حسين بكّار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
٤. أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء، الملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي، تح. د. ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.
٥. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تح. عبد الرحيم محمود، دار إحياء المعاجم، القاهرة، ١٩٥٣م.
٦. الأصوات اللغويَّة، د. إبراهيم أنيس، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، ١٩٦١ م.
٧. أعمال الأعلام في من بويع قبل الإظلام من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب، تح. ليفي بروفنسال.
٨. إلياذة هوميرس – معرَّبة نظماً، وعليها شرح تاريخي أدبي، سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي، ودار المعرفة، بيروت، د. ت.
٩. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩ه)، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٨ م.
١٠. البديع في وصف الربيع، أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (ت٤٤٠ه)، اعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيريس، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤٠م.
١١. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، تح. فرانتيسكو فريرة أبي زيدين، سرقسطة، ١٨٨٥م.

http://abu.edu.iq

١٢. بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف حسين بكّار، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.
١٣. البيان المغرب، لابن عذارى، تح. ليفي بروفنسال.
١٤. التشبيهات من أشعار أهل ألأندلس، أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
١٥. توشيع التوشيح، صلاح الدين بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤ه)، تح. البير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦م.
١٦. جذوة المقتبس، أبو عبد الله الحميدي (ت٤٨٨ه)، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة.
١٧. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، د. يوسف خليف، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٨. دراسات في النص الشعري – العصر العباسي، د. عبدة بدوي، دار الرفاعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤م.
١٩. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت٥٤٢ه)، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٠. رايات المبرزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن سعيد (ت٦٨٥ه)، تح. د. النعمان عبد المتعال القاضي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢١. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
٢٢. شعراء أمويون، د. نوري حمّودي القيسي، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٣. عدّة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، علي بن بشر الغرناطي، تح. ألان جون، كامبردج، ١٩٩٥م.
٢٤. العروض والقافية، دراسة في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي
٢٥. عضويّة الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ط١، مكتبة المنار، عمّان، الأردن، ١٩٨٥م.
٢٦. علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
٢٧. فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، ط٤، مطابع دار الكتب، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٨. في فقه اللغة وقضايا العربيّة، د. سميح أبو مغلي، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٧م.
٢٩. فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
٣٠. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤ه) تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.
٣١. في الميزان الجديد، د. محمد مندور، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
٣٢. في النقد الأدبي الحديث، د. محمد عبد الرحمن شعيب، ط١، مطبعة دارالتأليف، القاهرة، ١٩٦٧ – ١٩٦٨ م.
٣٣. في النقد الأدبي الحديث – منطلقات وتطبيقات، د. عبد الرضا علي ود. فائق مصطفى، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، ٢٠٠٠م.

http://abu.edu.iq

٣٤. محمد بن عبادة القزّاز، دايفيد صمويل شتيرن، ترجمة د. عدنان آل طعمة عن الإسبانيّة، مجلّة جامعة أهل البيت، العراق، كربلاء، العدد ٩.
٣٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.
٣٦. مطمح الأنفس ومسرح التأنس لملح أهل الأندلس، الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩ه) تح. محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
٣٧. المقتبس في تاريخ الأندلس، ابن حيان، تح. د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.
٣٨. المقتطف من أزاهير الطرف، ابن سعيد الأندلسي، تح. د. عدنان محمد آل طعمة، أطروحة دكتوراه، جامعة غرناطة، أسبانيا.
٣٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاري القرطاجنّي (ت٦٨٤ه)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
٤٠. موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الإنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٧٨م.
٤١. ميزان الشعر، د. بدير متولي حميد، ط٢، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٧م.
٤٢. نظريّة إيقاع الشعر العربي، محمد العيّاشي، المطبعة العصريّة، تونس، ١٩٧٨م.
٤٣. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١ه)، تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
٤٤. الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تح. د. وداد القاضي، فسبادن، ١٨٨٢م.

المطبوعات الأجنبيّة:

45. Granja , Fernando de la , Ubada.B. Ma'al Sama – El Brill , 1971.
46. Levi- Provensal –El , Sur deuy de Malaga duxo siec – Arabica – Leiden – 1954.
47. Nykl.Ar, Hispano – Arabic Poetry – Baltimor , 1946.
48. Peres. Henri – Lapoesi andaluse arab clasique , Paris -1953.

Wilhem , Hoenerboch , Al andalusi Ubada.B. Ma'al Sama supoesia. R. andalusi Islamica 1v-v , Granda 1980.

http://abu.edu.iq